دُروسٌ مِنْ هَدْيِ ٱلْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمِ

سِلْسِلَةُ دُرُوسِ رَمَضَانَ

( ٱلدَّرْسُ ٱلعَاشِر )

# سُورَةُ البَقَرَة

مِنَ الآيَةِ ﴿٢١٥﴾ إِلَى الآيَةِ ﴿٢٥٢﴾

أَلْقَاهَا ٱلسَّيِّد/ حُسَيْن بَدْرِ ٱلدِّين الحُوثِي

بِتَارِيخ: ١٠ رَمَضَانَ ١٤٢٤ هـ

المُوَافِق: ٤/١١/٢٠٠٣ م

ٱلْيَمَن - صَعْدَة

هذه الدروس نُقِلَتْ من تسجيل لها في أشرطة كاسيت،
وقد أُلْقِيَتْ ممزوجة بمفردات وأساليب من اللهجة المحلية العامية.
وحرصاً منا على سهولة الاستفادة منها أخرجناها مكتوبة على هذا النحو.

إعداد/ يحيى قاسم أبو عَوَّاضَة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله.

اللهم اهدنا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.

لبيان عظمة القرآن الكريم وأهميته أقسَم الله في آية هي آية - حقيقة - تدل بشكل لا يكاد الإنسان أن يتصور مقدار عظمة القرآن، من خلال تلك الآية نفسها عندما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ * وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ * إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ﴾(الواقعة:٧٥-٧٧) أليس هذا قسماً عظيماً؟ أقسم به عظيم وهو الله سبحانه وتعالى، ومع القسَم جاء بالتأكيد، القسَم مؤكد، والعبارة مؤكدة، كلها تؤكد عظمة القرآن الكريم، وأنه كريم فعلاً، كريم في أصله، فيما يهدي إليه: يهدي إلى مكارم الأخلاق، يهدي إلى الأشياء التي تُعتبَر كريمة، الكريم يقابل المنحط، ويقابل سفاسف الأشياء، ويقابل الهامشيات، وكريم من جهة أخرى فيما يعطيه كما نقول: (فلان كريم) ممكن أن تقول: كريم باعتبار أصله، ونفسيته، في نفسه كريم، وباعتبار جوده، فالقرآن الكريم هو كريم بما تعنيه الكلمة، وهو كريم بهذا المعنى أيضاً: أنه يعطي الأشياء الكثيرة جداً.

لا نزال في سورة واحدة منه (سورة البقرة) ولم نكمل هذه السورة بعد، ونجد كم يعطينا هذا القرآن الكريم، وكم لا يزال فيه! هو كما قال الإمام علي عليه السلام: (بَحْرٌ لا يُدْرَكُ قَعْرُه) إنما يريد نفوساً كريمة أيضاً، النفوس الكريمة هي التي تتقبل الأشياء الكريمة، ومما كان وراء شقاء بني إسرائيل - كما قلنا في درس سابق - ربما وضعية مُعيَّنة جعلت أنفسهم منكسرة، ومنحطة حتى أصبحت لا تُقدِّر الأشياء حق قدرها، فقدوا النفوس الكريمة، تلك النفوس التي تكرم الأشياء الكريمة، وتقدِّرها حق قدرها.

الإنسان يجب أن يعمل على أن تزكو نفسه، تكون نفساً كريمة، فإذا ما زكت النفس وأصبحت نفساً كريمة، كان للأشياء العظيمة الكريمة أهميتها عنده.

نجد في ترتيب آيات القرآن الكريم الشيء العجيب، والشيء المهم في نفس الوقت، تارة يتحدث عن الجهاد، وتارة يتحدث عن الإنفاق، وتارة يتحدث عن أشياء في مجال الهداية، توجيهات تربوية مُعيَّنة، وأحياناً يتناول تشريعات مُعيَّنة فيما يتعلق بالطلاق، فيما يتعلق بأشياء نهَى عنها كشرب الخمر، وغير ذلك.

هذه هي تعطي نظرة هامة جداً وهي: أن التشريع مترابط، أن الأشياء لها علاقة ببعضها بعض، كل تشريعات الله سبحانه وتعالى، سواءً ما كان منها تشريعات على هذا النحو تتعلق بمعاملات فيما بين الناس، أو تتعلق بقضايا النكاح، أو الطلاق، وكل المنهيات عنها، وكل ما كانت توجيهات كلها مترابطة، وكل واحدة منها لها أثر فيما يتعلق بالمجموع؛ لهذا كان القرآن على أرقى مستوى، وكل آية في مكانها عندما تنظر إلى ما قبلها وما بعدها وإلى الموضوع الذي جاءت في سياقه بشكل عام ترى لها أهميتها بشكل كبير.

فهذا الأسلوب القرآني فيما يتعلق بالجانب الفقهي، الجانب الفقهي بالمصطلح المعروف (الفقه) الذي يعني: عبادات، ومعاملات، أسلوبه هو أفضل من أسلوب الفصل بين الأشياء؛ لأن الفقه في حد ذاته أصبح فيما بعد عبارة عن فن مستقل تُقدَّم فيه مسائل - فيما يتعلق بالعبادات والمعاملات - مسرودة سرداً قانونياً، صياغة أشبه شيء بالصياغة القانونية. لكن الأسلوب القرآني يلحظ بأنه هناك شيء هام جداً هي نفسية الإنسان؛ ولهذا قلنا: إن من معجزة القرآن الكريم: أنه استطاع أن يجعل العرب يتقبلون هذا التشريع، وهم أمة من البداية ليست أمة متحضرة، وليست أمة تألف أشياء تُعتبَر حدوداً وضوابطَ وتقنيناً من هذا النوع، لم يكونوا آلفين لهذه، وهي عملية كبيرة في الواقع، أي: نقلة من حالة عدم الالتزام بشيء تقريباً، مجتمع ليس آلفاً لأن يكون لديه ضوابط وحدود وأشياء مُعيَّنة أشياء - مما تسمَّى - قانونية، ثم يُنقل نقلة إلى مرحلة التزام بحدود وضوابط وتشريعات محددة، أن هذه تُعتبَر معجزة - حقيقة - للقرآن.

لكن انظرْ إلى الأسلوب الذي قدَّم فيه القرآن تلك التشريعات، لم يُقدِّمها بمعزل عن مشاعر الإنسان نفسه عن الأسلوب الذي يلامس نفسية الإنسان حتى يتقبل تلك التشريعات بمختلف أنواعها، تجدهم مثلاً فيما يتعلق بالمواريث حصلت لديهم نقلة لم تكن مألوفة، فيما يتعلق بطعامهم، بشرابهم، مثلاً الخمر كان شيئاً يألفونه، والخمر هو مادة متى ما أدمن الإنسان عليها يُعتبَر الانتقال إلى أن يتركها قضية فيها نوع من الصعوبة، ومع هذا استطاع القرآن الكريم أن يجعل العرب يصلون إلى هذه المرحلة (مرحلة الالتزام) كيف؟ هل لمجرد تقديم الأشياء، ولمجرد فقط الوعيد على الأشياء؟ لا نزال نحن المتأخرين، هناك وعيد على الأشياء لكن لم نستطع أن نجعل الأشياء ذات أهمية في نفوسنا، ونلتزم بها.

تجد كثيراً من العرب في بلادهم – مثلاً – الخمر منتشر بشكل كبير، أشياء أخرى تُعتبَر تعدياً لحدود الله، منتشرة بشكل كبير! على الرغم من انتشار القرآن الكريم! لكن لَمَّا عزل أسلوب القرآن، عزل القرآن – أصلاً –جانباً، وأصبح كتاباً يُتلى لمجرد التلاوة تقريباً، وقدِّمت الأشياء الأخرى هي البديل عنه، وهي التي تقدَّم للناس، سواءً بشكل تفسير، أو بشكل أحاديث، أو بشكل كتب متخصصة للمسائل التي هي مسائل عبادات، ومعاملات، والأشياء المنهي عنها، والأشياء المحرَّمة، والأشياء المباحة، أعداد كبيرة من المجلدات لم تستطع أن تصنع ما صنع القرآن بالعرب في تلك المرحلة؛ لأنه نقلهم نقلة كبيرة جداً.

هنا تجد هذا الدمج ما بين مختلف الأشياء داخل آيات القرآن الكريم تُبيِّن لك: أن هذا القرآن الكريم – إذا صحت العبارة – أخرِج على أرقى مستوى، ليس الإخراج الصحيح هو: أن يكون هناك في الموضوع الفلاني باب مستقل، وفصل، ثم باب يختص بموضوع الصلاة، بابٌ يختص بموضوع النكاح، باب يختص بموضوع الطلاق، وهكذا كما أصبح معروفاً، وكما قدِّم على أنه إخراج جيد، وهو الإخراج الجيد من الناحية الفنية بالنسبة لشكل الكتاب ممكن، لكن بالنسبة للنفوس الإخراج الجيد الإخراج الراقي هو هذا الإخراج القرآني الذي قدَّم الأشياء مدموجة مع بعضها بعض.

نجد هنا في البداية من أول الآيات التي سمعناها قول الله تعالى: ﴿يَسْأَلونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾(البقرة:٢١٥) موضوع الأسئلة، بعض الأسئلة قد تكون وجيهة، ولكن بعض الأسئلة قد تكون مستعجلة؛ لأنه في مسيرة التشريع يجب أن يفهم المجتمع بأن الذي على يديه يتم التشريع هو يعرف، أي: أن الأشياء منظورة أمام الله سبحانه وتعالى، كل الأشياء منظورة أمام الله، وهو يعلم بكل شيء، والرسول الذي أنزِل إليه الكتاب هو إنسان حكيم، ويفهم المجتمع يفهم تركيبة المجتمع، ويفهم أن هناك يتامى وهناك أقارب وهناك كذا... وأشياء كثيرة جداً يفهمها.

أحياناً قد تكون القضية التي يراعيها التشريع هي: أن قضية مُعيَّنة مسكوت عنها فلا يبدو من جانبه ما هو إقرار، ولا يرى بأنه مناسب أن يُنزل شيئاً في نفس الوقت يكون تغييراً، وأحياناً أسئلة توجد حرجاً أن يسكت وكأنه أقرّ تلك الحالة القائمة، أو أن يُنزل شيئاً وقد يكون إنزاله في غير وقته، فهنا عندما قال: ﴿يَسْأَلونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ هم قد سمعوا عن موضوع الإنفاق والحث على الإنفاق ماذا ننفق؟ أي: هل من أموالنا هذه، أو من العفو من أموالنا، أو الفائض من أموالنا؟ وأيَّ نوع من الأموال ننفق؟ وجَّههم بطريقة جميلة هي في نفسها ترويض في عملية الإنفاق، وكل شيء يحتاج إلى ترويض بالنسبة للنفس، تحتاج إلى أن تروِّض نفسك، وتحتاج إلى أن تروِّض أولادك أيضاً. يبدأ الترويض فيما يتعلق بجانب مُعيَّن هو: الأقارب ﴿فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ﴾ قضية ليست صعبة جداً بالنسبة لك أن تنفق للأقربين، كذلك أشياء كانت معروفة عند العرب باعتبارهم أمة لديهم نفوس جيدة فيما يتعلق بالكرم، فيما يتعلق بفعل المعروف كانوا معروفين بهذا، بالسخاء، وبالكرم، هناك مثلاً: ﴿الْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾(البقرة:٢١٥).

ثم يُبيِّن أهمية هذه الفئات من المجتمع، مهما كان الناس في أحلك ظروفهم فيها يجب ألاَّ ينسوا؛ لأنه متى ما نسي هذه الفئات، أقاربك محتاجون، والداك محتاجان، أو هناك يتامى، ومساكين، وابن سبيل مسافرون يحتاجون، يعطيهم الناس حتى وإن كانوا في مراحل جهاد تتطلب أكبر نسبة من أموالهم؛ لأن هنا في الموضوع أنك تعطي شيئاً هو من اهتمامات الدِّين في نفس الوقت، أو تعطي لفئة، الدِّين هو يهتم بها في نفس الوقت، ثم مشاعرهم لا يكون هناك في المجتمع فئة تتحول إلى معادية لنفس الخط؛ لأنها ترى أن الأموال كلها تستنزف في هذا مهما كان عظيماً – الأشياء الخاصة تترك أثرها في النفس – مهما كان عظيماً، قد يحصل لديهم عُقدة (كلما قلنا كذا قالوا مشغولين، نحن نريد في مجال كذا، في مجال كذا، باستمرار، باستمرار) أن تنفق في سبيل الله مجال هام جداً لكن في نفس الوقت لاحِظ ألاَّ توجِد في المجتمع فئة تصبح معادية لهذا التوجه باعتبار أنها تراه يستغرق كل شيء، متى ما تحول فقراء أو مساكين أو أيتام أو أقارب لك أو كذا إلى أناس لديهم هذه النظرة فستنطلق من أفواههم كلمات فيها نوع من التثبيط، فيها نوع من العتاب، فيها نوع من الغضب، فملحوظ في مجال بناء الأمة بشكل عام هذه الأشياء، لا تكن حريصاً على أن تبني خارج وأنت تخلخل داخل.

فهذه القضية هامة في أنها تعوِّد الإنسان على أن ينفق، تروِّض نفسه على أن يعطي، وفي نفس الوقت فئات لا تُنسى. نقول لهذه الفئات مثلاً في مرحلة مُعيَّنة: يكفيكم أنه مقدار مُعيَّن مثلما قال الإمام الهادي[1] أذكر أن

(١) هو الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام)، وُلِدَ بالمدينة المنورة سنة ٢٤٥هـ، وتوفي بمدينة صعدة سنة ٢٩٨هـ.

الإمام الهادي قال في مرحلة مُعيَّنة كانت حرجة جداً: على الفقراء أن يصبروا فترة، وإن شاء الله عندما تنكشف القضية التي هو مُحرَج فيها في موضوع جهاد على أساس مثلاً غزوة مُعيَّنة، أو فترة محدودة، لكن هنا ما الذي عمل الإمام الهادي؟ حاول أن يخاطب الفقراء، فالفقير عندما تخاطبه، المسكين عندما تخاطبه تقول: نحن نهتم بكم جداً، ونحن فعلاً نتألم لحاجتكم، لكن ظرف مُعيَّن، تفهمون بأننا نحاول نحن أن نصبر، وأن نخفف من نفقاتنا الخاصة، أنتم كذلك، وإن شاء الله عندما تتحسن الوضعية أو يخرُج الناس من إشكالية مُعيَّنة نحاول أن نعطي أكثر، أو نعطي الشيء المعتاد.

كلمة طيبة، يفهمون بأنهم محط اهتمام لدى الناس، ويفهم بأنها قضية ليست قضية ثابتة باستمرار، أي: أن هناك شيئاً قُدِّم ليصرف المجتمع، ليصرف المتعاونين المحسنين عن أن يقدِّموا لهم فيعتبر أنها ستكون طريقة باستمرار، وأنه قد صار هناك توجيه يقوم على أن يصرف الناس في مجال إنفاقهم وعطائهم إلى شيء مُعيَّن، يصرفهم عنهم، وبطريقة يفهمونها وكأنها حالة ثابتة، وحالة دائمة!

وهذه القضية هامة، إذا واحد - مثلاً - متعوِّد على أن هناك فقراء مُعيَّنين يعطيهم، يذكّرهم هو: أننا في مرحلة لا تكن أنت منتظراً أن يتوفر لك (لحم) كل يوم، وتريد مصاريف كثيرة، وتريد، وتريد. خفف قليلاً، وإن شاء الله عندما يفتح الباري علينا أكثر، أو عندما تتحسن وضعية الناس نعطي، نحن نحاول أن نقلل في نفقاتنا - يقول له هكذا - ونحن لا ننساكم، ونحن... هذه قضية هامة، وقضية ملموسة - فعلاً - في المجتمع.

أيضاً أن يفهم الفقير نفسه، والمسكين نفسه، وابن السبيل نفسه بأنهم أناس هم عليهم مسؤولية أيضاً، عندما تكون أنت فقيراً ليس لديك أموال، يأتيك مساعدات من الناس حاول أنت أيضاً أن تُقدِّم بمقدار ما تستطيع أن تقدِّمه، أن تعوِّد نفسك على العطاء في سبيل الله، وتعرف بأنك لا تخرج من المخاطَبين في قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أو في قوله: ﴿وَأَنفِقُوا﴾ وفي كل ما فيه أمر إلهي يوجَّه للناس جميعاً، ويلحظ أيضاً وضعية كل إنسان بمفرده.

هنا لم يأتِ الجواب عن ﴿مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ أجاب عن محط الإنفاق، وبطريقة جميلة جداً، طريقة فيها ما يكشف نوعاً من الاهتمام بهذه الفئة، وهذا الشيء مهم؛ لأنه في خلال آيات الجهاد ذكر الإنفاق في سبيل الله، ألم يذكر في هذه السورة نفسها الإنفاق في سبيل الله؟ ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾(البقرة:١٩٥) ويأتي بعد آيات يذكر فيها الثواب الكبير جداً للإنفاق في سبيل الله فهنا قد يترسَّخ في ذهنية الإنسان توجه مُعيَّن يُنسيه فئة في المجتمع، هي فئة مَن؟ الأقارب، وفئة اليتامى، والمساكين، وابن السبيل، هل ذكر هنا سبيل الله؟ لم يذكره هنا، هذه عملية تكامل، أو موضوع توجيه متكامل: أن تنفق في سبيل الله، وتهتم بالإنفاق في سبيل الله، ولا يكون - بنسبة كبيرة - على حساب نفسيات وحالة هذه الفئة من الأقارب وغيرهم الذين حكاهم في الآية: اليتامى والمساكين وابن السبيل.

هذه الآية أليست هي في حد ذاتها بالنسبة للفقراء، بالنسبة لهذه الفئة، ترى أن القرآن الكريم يعطي حالتهم اهتماماً، ويجعلهم محط اهتمام لدى الناس، عندما يقول الله: ﴿قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾(البقرة:٢١٥) لا يضيع أجر الإنسان، ويضاعف أجره.

هناك في آية أخرى بعد: ﴿وَيَسْأَلونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ﴾ ماذا ينفقون؟ ﴿قُلِ الْعَفْوَ﴾(البقرة:٢١٩) أي: لستم هنا موجَّهين بأن تنفقوا كل ما لديكم، كما قال الله هناك في آية أخرى لرسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم): ﴿وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾(الإسراء:٢٩) أي: لا تبسط وفي الأخير تحس بحرج بالنسبة لك، بالنسبة لأسرتك، بالنسبة لأشياء يكون فيها التزامات مالية عليك، بالنسبة لضيوف مُعيَّنين، بالنسبة لابن السبيل، بالنسبة لأشياء كثيرة تكون ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾ كأن المطلوب أساساً هو: الإنفاق، أن يُنفق الإنسان.

و﴿الْعَفْوَ﴾ أي: الشيء الذي لا يؤدي إخراجه إلى إجحاف بك أنت، وموضوع الخير مفتوح، لكن هنا في الشيء المطلوب، لاحِظوا لو أن الناس يعطون من هذا مِن ﴿الْعَفْوَ﴾ أنه سيأتي شيء كثير جداً في سبيل الله من العفو نفسه. والعفو معناه: شيء زائد على الضروري، شيء إنفاقك منه لا يوجد إجحافاً بالإنسان على تلك الحالة التي حكاها في الآية الأخرى: ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا﴾.

بعد هذه الآية التي ذكر فيها الإنفاق، وذكر فئة مُعيَّنة في المجتمع، ولم يذكر سبيل الله هنا، ألم يأتِ بعدها

بآية: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾(البقرة:٢١٦)؟ لاحِظ أن موضوع القتال، موضوع الجهاد في سبيل الله دائرة واسعة جداً، وتريد نظرة متكاملة لكل محيط هذا العنوان العظيم: الجهاد في سبيل الله، القتال في سبيل الله، بما فيها مراعاة نفسية هذه الفئة.

عندما تكون أنت إنساناً مؤمناً، ومجاهداً، وتنفق، وعندك والداك، وعندك أسرتك، فتكون أنت تصل في وضعيتهم إلى حالة منهكة جداً، أليس الذي سيحصل في نفوسهم هو تضايُق من هذه العملية، من التوجه الذي أنت فيه؟ إذاً حاوِلْ أن تراعي مشاعرهم، أو توفر لهم بحسب الوضعية، وبحسب الشيء الضروري، وتذكّرهم بأننا نحن الآن في مرحلة لا بُد أن تكون نفقاتنا محدودة، لا بُد أن نتقشف نوعاً ما من أجل أن نوفر لننفق في سبيل الله؛ سيحصل من الوالدين، سيحصل من الأقربين عبارات تشجيع.

لكن قد تتحرك هنا ويكون أبوك وأمك وأقاربك الذين هم عالة عليك يقولون: (ذلك الإنسان لم يعد يهتم بنا، ومتخبط هناك، ووراء فلان ويقول له كذا كذا، وأعطاه حقنا، ولم يعد يصل لنا منه شيء، ولا، ولا...) كلام كثير، والمطلوب بالنسبة للمجتمع في حالة مواجهة مع العدو أن تسوده حالة الرضا؛ لأن العدو عادة يعمل استبياناً واستقراءً لوضعية المجتمع، فإذا لمس أن في هذه الأسرة، وفي تلك الأسرة، وفي الأسرة الثانية، في هذه القرية، وتلك القرية كلاماً من هذا النوع سيظهر هنا ماذا؟ عدم رضا عند نسبة كبيرة من المجتمع بالموضوع الذي يتحرك فيه المجاهدون من أبنائهم، تُعتبَر حالة فيها ما يَسُرُّ العدو نفسه.

لكن إذا عمل جولة – خاصة أمام أعداء كهؤلاء (بني إسرائيل) هم يهتمون جداً بموضوع الإحصائيات والاستبيان ومحاولة الاستقراء لوضعية المجتمع ونفسية الناس – فإذا لم يسمع في المجتمع عبارات من هذه التي قد يكون من أسبابها ماذا؟ إهمال، من أجل أنك تنفق في سبيل الله، وكل ما يسمعه العدو كلام تشجيع، ليس هناك أيُّ خلخلة؛ هنا يرى هذا المجتمع كله مجاهداً.

لأنه يُعتبَر في موضوع الجهاد في سبيل الله، القتال بشكل عام – وهي قضية معروفة عند الأمم – أن الشعب نفسه، أن المجتمع نفسه هو يشكل سنداً كبيراً جداً، إذا كان هو راضياً بالوضعية، راضياً بالمواجهة، ويشجع على المواجهة معنى هذا: أن أمام العدو بحر لا ينفد من ماذا؟ ممن يرفدون المجاهدين، ممن يعملون على رفع معنوياتهم، ممن يساندونهم، يُعتبَر فعلاً من أهم الأشياء، قضية معروفة – تقريباً – عند الأمم كلها، قضية الشعب، ومساندة المجتمع نفسه.

إذاً فهذه القضية هامة، والله سبحانه وتعالى يجعل توجيهه وتربيته حتى في موضوع الأشياء الهامة جداً ألاَّ تكون على حساب أشياء مهمة أيضاً بنسبة ١٠٠٪ أحياناً قد تكون هذه الأشياء التي تُعتبَر مهمة، أو حتى أشياء شبه طبيعية التقصيرُ فيها في الأخير يوجد خللاً في القضية الهامة.

هذا الذي ذكرناه، أليست فعلاً قضية معروفة؟ لو يعمل اليهود استبياناً للمجتمع وسمعوا في كل قرية هنا الناس يقولون: (أولادنا كذا، ولم يعودوا يهتمون بنا، ولم يعودوا يشتغلون معنا، ولم يعودوا كذا، وقد خذلوه آل فلان) أليست هذه تطمِّع العدو؟ تطمِّع العدو أن يواصل ضرباته لهذا المجتمع، لماذا؟ لأنه يعرف أنه مجتمع قريب من الخلخلة، وقريب من الهزيمة النفسية والهزيمة العسكرية أيضاً.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ﴾(البقرة:٢١٦) لكم: باعتبار رؤيتكم، ونفسياتكم، وفهمكم للأشياء، وإلاّ فالواقع لو أن الإنسان يتأمل يتذكر بشكل جيد لرأى بأن القتال ليس بالشكل الذي تكرهه، عندما تنظر إلى قضية واحدة هي: أن كل إنسان سيموت، أليست هذه قضية معروفة؟ كل إنسان سيموت، وكل إنسان يلاقي في هذه الحياة أشياء تتعبه ويعاني منها، أليست هذه قضية معروفة؟ إذاً فالقتال ما هو؟ غاية ما فيه أن تُقتل، ألست ستموت وإن لم تُقتل؟ أليس الأفضل لك أن تستثمر موتك فتُقتل في سبيل الله أفضل من أن تموت فلا يُحسَب لك موتك شيئاً؟

إذاً فأن تخاف من الموت كموت فالله جعل من يُقتل في سبيله حياً، أي: أن الشهداء هم لا يموتون فعلاً، تراها في الأخير قضية لو يتأملها الإنسان حتى وإن كان ضعيف نفس، وإن كان يتخوَّف من الموت، إذا كنت تخاف من الموت فحاول أن تُقتل في سبيل الله شهيداً؛ لأنك بهذه العملية قهرتَ الموت فعلاً، ولم يكن الموت بالنسبة لك إلاّ نقلة قد تكون ربما (ثواني) قد تكون (دقائق) وتنتقل إلى حياة أبدية في نعيم وفرح واستبشار ورزق كما ذكر الله في آية أخرى؛ ولهذا لم يقل: ﴿وَهُوَ كُرْهٌ﴾ هذه قضية هامة: أن كل ما أمرنا الله به كل تشريعات الله ليس فيها كره هي هي، قد يكون المحيط الذي نحن فيه هو الذي يجعل القضية – ونحن نتحرك فيها – فيها

نوع من الكره، لكن هناك في دين الله في هدي الله ما يعطيك دفعة كبيرة إلى أن تتجاوز كل ما تراه كرهاً، كل ما تراه صعوبات وأنت تقوم بالعمل الذي أمرك الله أن تتحرك فيه، فقط أنتم: ﴿كُرْهٌ لَكُمْ﴾.

﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾(البقرة:٢١٦) لأن الإنسان لا يعلم الغيب، وكثير من الناس تكون نظرتهم قاصرة ومحدودة ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ ربما قد تكرهون شيئاً هو في الواقع ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ وأنتم تحبون الخير، وهو معلوم أن الإنسان نفسه في حياته يعمل أشياء فيها كره له عندما يكون فاهماً أن وراءها خيراً.

أعمال الناس، أليس هناك أعمال شاقة، في تجارتهم، في زراعتهم، في أشياء كثيرة من أعمالهم؟ يذهب يغترب ويعمل من الفجر إلى المغرب (بنّاء أو مُليِّس أو خلطة، أو يحفر في الأرض، أو أشياء من هذه) لكن هو عارف أن هذا كره، وهذا عمل ثقيل لكنه متمسك به، يجمع له فلوساً ويعود إلى البلاد ويجلس فترة ويأخذ بعض أشياء هو يرى بأنه بحاجة إليها، أو كانت نفسه تطمح إليها، أليس هذا يجعله - وهو يعرف أن وراء هذا التعب خيراً، أليست معنوياته ستكون مرتفعة؟ - يذهب ويبحث لمن يتعب معه؟ أليس هناك حراج للعمال؟ حراج للعمال ماذا يعني في الأخير؟ مجموعة من الناس يبحثون عمَّن يتعبون معه، أليس كذلك؟ لأنه يعرف أن وراء التعب خيراً له.

إذاً هذه قضية تقيس عليها ومن منطلق ثقتك بالله سبحانه وتعالى عندما يقول لك: لو كان في هذا كره لك لكن فيه خير لك، فثق به فعلاً، عليك أن تقيس المسألة على الأشياء التي هي معروفة في حياتك أنت تُكرِه نفسك على أعمال مُعيَّنة لأن وراءها خيراً لك.

﴿وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾(البقرة:٢١٦) قد تحب ألاَّ تتحرك، ألاَّ تعمل، ألاَّ تنطلق تقاتل في سبيل الله ويكون موقفك هذا - في الأخير - شراً لك، ويمكن من خلال ما نشاهده في التلفزيون أن نأخذ عبرة، تجد الأمريكيين في العراق يقتحمون كثيراً من البيوت، تجدهم ينتهكون الأعراض، وينهبون الأموال، ويدمرون، ويهينون كرامة الناس، يربطون كثيراً منهم أمام عوائلهم! أليس هذا شراً؟ أليس من الأسهل للإنسان أن يُقتل ولا أن يصل به الأمر إلى هذه الحالة، أن يقتحموا بيته؟ لماذا؟ لأنه في الماضي كان يغلق بيته على نفسه ويجلس ولا شأن له، يقول: (لا شأن له) أليس هنا أحب هذه الحالة؟ وإذا بها في الأخير شر له، يأتي العدو يركل بقدمه باب بيته فيقلعه، نحن نشاهدهم بهذه الطريقة؛ ولهذا قلنا: هذه فيها عبرة حتى بالنسبة للأبواب، هذا إنسان كان يغلق بيته على نفسه (ولا شأن له) يأتي من يركل باب بيته ويدخل في الليل إلى وسط العائلة، ويربطونهم أمام عوائلهم، أليس هذا شراً؟

إذاً فمعنى هذه الآية: أن كل ما يأمرنا الله به، كل ما يدعونا إلى أن نعمله هو خير لنا بما فيه القتال الذي يتصور الناس أنها قضية صعبة، وأنها قضية شر، يسمونها مشاكل، ولا نريد مشاكل! أليس الناس يقولون هكذا؟ إنه يجب أن تعرف من أين مفتاح المشاكل التي تسمَّى مشاكل، والتي هي شر؟ يكون مفتاحها أحياناً - وهذه قضية أكيدة - عندما تقعد، عندما تتخلف، عندما لا تتحمل مسؤوليتك أمام الله: تنطلق مجاهداً في سبيله، وتقاتل في سبيله أنت فتحت على نفسك باب شر كبير، وشر: إهانة، خزي، ذلة، يصل إلى القتل، يصل إلى قتل الأسرة، يصل إلى تدمير البيت، يصل إلى جرف المزرعة نفسها، وفي الأخير لا تجد وراءها شيئاً، لن يكون وراءها: ﴿بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾(آل عمران:١٦٩) لا يوجد شيء، أو أن وراءها جنة؟ شر بحت، ووراءها - والله أعلم - الشر الدائم، وهو جهنم.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾(البقرة:٢١٦) لأنه خير لكم، ولأن العملية في الأخير لا تُعتبَر شيئاً أكثر من أنه قدَّم لك أن تستثمر موتك، وأن تُكتب حياً من بعد أن تفارق هذه الحياة، وهي حياة واحدة، هي حياة واحدة هذه مقدمتها، مقدمة الحياة الطويلة جداً التي لا انتهاء لها، الحياة الآخرة، إمَّا أن تجعلها مقدمة جميلة تنتقل إلى حياة في نعيم وشرف، خلود لا ينقطع، أو إلى سوء المصير - ونعوذ بالله - إلى جهنم.

فتجد هذه القضية في القرآن الكريم - تقريباً - بأنه يُبيِّن للناس كل ما يأمرهم به، كله هو خير، خير، خير كله لهم من كل الجهتين، كلمة ﴿خَيْرٌ﴾ هي كلمة عامة تشمل كل ما هو خير ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾(البقرة:٢١٦) ولهذا قال هناك: ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ لأن الإنسان أحياناً يتصور: ما دام أنه ليس شراً عليه هو هو، وإنما شر على آخرين، أو شر بالنسبة للدِّين، فالباري هو المسؤول عن دينه (نَصَرَ دينه وإلاّ فلا!) لا، القتال في سبيل الله هو خير لك، وقعودك عنه هو شر لك أنت، هذه هي نظرة قائمة عند الناس، يرى الواحد أنه (قالوا نقاتل في سبيل

الله، من أجل دين الله ) أليس هو يراه شيئاً هناك بعيداً عنه، شيئاً آخر؟ لا، هي قضية تلامسك أنت بخيرها أو شرها ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ أو ﴿شَرٌّ لَكُمْ﴾ إذا لم تقاتلوا في سبيل الله.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ فإذا كان عندك ثقة بالله أنه أعلم منك، وأنت تثق بأنه عالم الغيب والشهادة، وأنت تثق بأنه لا يريد لك إلاّ الخير في الدنيا والآخرة، فيجب أن يكون مسيطراً على مشاعرك: أن ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ لأنه أحياناً يظهر كثير من الناس ينسى أن الله هو أعلم منه، يكون قد قاس المسألة وظهرت عنده شراً فقعد، لا يريد شراً! الله يقول: لا. قد يكون ما تراه أمامك كرهاً لك، وتظن أن وراءه شراً لك، لا، قد تكون عاقبته خيراً لك، والعكس بالعكس، إذاً، يجب أن ينطلق الإنسان من قاعدة: أن الله في كل ما يأمرنا به، في كل ما يوجهنا إليه من ورائه خير لنا، وأنه يعلم ونحن لا نعلم: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾.

في الوقت الذي يحث المسلمين على أن يكونوا مقاتلين في سبيل الله وبشكل كبير في القرآن الكريم يضع حدوداً، يضع آداباً معيَّنة، يضع مبادئ في موضوع القتال. ليس معناه أن يتحولوا إلى وحوش، فلا يراعون أيَّ مبدأ، ولا أيَّ أخلاق، ولا أيَّ شيء من الحرمات، هنا يقول: ﴿يَسْأَلونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ القتال فيه يُعتبَر انتهاكاً لحرمته وهي كبيرة عند الله ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ﴾(البقرة:٢١٧) الذي تعملونه أنتم: صدُّكم عن سبيل الله، وانتهاككم لحرمة المسجد الحرام، وصدكم عن المسجد الحرام – لأن الأشهر الحُرُم لها علاقة بموضوع زيارة المسجد الحرام بشكل حج أو عمرة – ﴿وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ﴾ الذين هم أولى به منكم ﴿أَكْبَرُ عِندَ اللَّهِ﴾.

لكن الله سبحانه وتعالى في الوقت الذي يجعل حرمة هذه الأشهر الحرم كبيرة، ويجعل حرمة المسجد الحرام حرمة عظيمة، فيما إذا انطلق الطرف الآخر ليقاتل المؤمنين معتدياً هو فيجوز لهم أن يقاتلوه: ﴿وَلاَ تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ﴾(البقرة:١٩١). هناك قال: ﴿وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾(البقرة:١٩٤) إذاً هناك حرمات مُعيَّنة، هناك ضوابط مُعيَّنة، هناك مبادئ مُعيَّنة في موضوع القتال، ولكنها ليست بالشكل الذي تمثل قيوداً تُعتبَر فرصة للطرف الآخر أن يضرب المؤمنين، يجب أن يراعي المؤمنون حرمتها، لكن متى ما اعتدى العدو فليعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليهم.

﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾(البقرة:٢١٧) فتنتهم للمسلمين، عندما كانوا يعذبونهم ليصرفوهم عن دينهم، ولو لم يكونوا يصلون ببعضهم إلى القتل، لكنها تُعتبَر أشد من القتل حتى وإن لم تصل إلى القتل.

ثم قال سبحانه وتعالى فيما يتعلق بنوايا الأعداء الكافرين وغير الكافرين من أهل الكتاب: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾(البقرة:٢١٧) لاحِظ هذا الشيء العجيب فيما بين الجهتين، جهة المؤمنين، وجهة الكافرين، أن الكافرين لا يقاتلون المؤمنين على أساس أن هؤلاء أناس معتدون ومتوحشون وجبابرة وأشياء من هذه، يخافون منهم على نفوسهم وأموالهم وأعراضهم، لا، يقاتلونهم ليردوهم عن دينهم! أي: هذه هي في الواقع شهادة، وهي قضية من القضايا العجيبة! أن الطرف الآخر هو لا يخاف من المؤمنين، لكن المؤمنين الذين يلتزمون فعلاً بالتوجيهات الإلهية فيما يتعلق بآداب الصراع مع الآخر، القتال مع الآخر. لا يكونون خائفين من المؤمنين أنهم سيعتدون عليهم، ولا خائفين على أعراضهم، ولا خائفين على أموالهم، ولا خائفين على شيء، وإنما ينطلقون فقط: ﴿يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾.

﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(البقرة:٢١٧) لا يتصور الإنسان أنه: (لا نريد هذا الدِّين طالما وأنا قد أكون ضحية هذا الدِّين) ليست قضية سهلة، دينك معناه: حياتك، معناه: سعادتك، معناه: الدرجات الرفيعة لك، معناه: الجنة بكل ما تعنيه الكلمة.

﴿وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ﴾ يجعلونكم تكفرون بدينكم ﴿إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾ لأن هذه حالة قد تحصل عند الكثير من الناس (طالما أنه قد يؤدي ونحن نقاتل من أجل هذا الدِّين إلى أن نصبح ضحية هذا الدِّين فسنرتد معهم لنسلَم أذيتهم) لا؛ لأن هذه هي الخسارة الكبيرة؛ لهذا جاء بالتهديد بعده لتعرف أن الشيء الذي يجعلك تخاف منهم فترتد من أجل هذا الشيء الذي تخاف من قبلهم: أن هناك النار وهي أشد بكثير مما يمكن أن تخافه من عند أيِّ جهة من الناس، أيِّ عدو كان.

﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ هذه الآية توحي بأنه حتى أنت ستفقد قيمة ارتدادك، لن يكون ذا قيمة، أي: لن يكون فيه ما يشكّل وقاية لك؛ لأن الأعمال يكون لها أثر في الدنيا وفي الآخرة، قد تعمل عملاً مُعيَّناً وأنت تريد من

ورائه شيئاً مُعيَّناً، لا يتحقق هذا الشيء عندما يكون ثمنه هو دينك، أبداً، سيُحبَط هدفك من وراء ارتدادك عن دينك وتأقلمك مع العدو لتسلَم منه، لن تسلَم منه، سيتسلط عليك! وهذه قضية ملموسة لمن يتأمل الآن في واقع العرب يجدها واضحة، ألم تحبَط كل أعمالهم مع أمريكا، من أجل استرضاء أمريكا ألاَّ يحصل شيء من جانبها عليهم؟ وإذا بها هي تتجه لضربهم!

عندما يقول: ﴿حَبِطَتْ﴾ أن يكون العمل مُحبَطاً، أي: ليس ذا جدوى، لا يمثل شيئاً، ولا يحقق الغرض، لا يتحقق الغرض من وراء القيام به؛ ولذا الإحباط في الدنيا موجود بالنسبة للأعمال: ﴿فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ الأعمال إذا كان معه أعمال صالحة من قبل، وفي نفس الوقت هذا العمل بالذات لن يجعل الله لارتداده قيمة، ولن يتحقق له ما أراده من وراء ارتداده، هذه قضية ملموسة، أليس بعض الدول قتلت عدداً كبيراً من الحجاج استرضاءً لأمريكا من أجل الشعار لأنه مزعج لأمريكا؟ والآن أصبحت أمريكا تشكّل شيئاً مقلقاً جداً بالنسبة لهم، يخافون منها، ومتجهة لإزالتهم، متجهة لإزالتهم حقيقة.

﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ إذاً هذه هي الخسارة الحقيقية، وهذا يعطي الإنسان ثقة بدينه، وحرصاً على دينه، ألاَّ يتراجع ولو كان ضحيته هو، عندما تكون أنت ضحية من أجل دينك، أنت هنا تكون شهيداً عند الله، وتفوز بالجنة، عندما تبيع دينك ستكون النتيجة كما ذكرنا سابقاً، وهذه النتيجة السيئة: ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ أيُّ عدو يمتلك مثلما يساوي يوماً واحداً في جهنم؟ هل أحد من الأعداء يمتلك هذا؟ لا.

عندما يخبر الله سبحانه وتعالى عنهم بأن هذه هي لديهم دائماً: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾(البقرة:٢١٧) في المقابل يجب أن تكونوا مُعدِّين أنفسَكم دائماً؛ لهذا نقول: إنه فيما يتعلق بالتوعية الجهادية، فيما يتعلق بتوجيه الإنسان على أساس القرآن، أن يكون لديه روح جهادية، ليست قضية جديدة، أو قضية غريبة، أو قضية فقط ترتبط بوقت من الأوقات، إنها تربية قرآنية دائمة، يجب أن يكون المسلمون عليها دائماً دائماً في أيِّ وضعية كانوا، وفي ظل أيِّ دولة كانوا، في ظل دولة الرسول (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) يجب أن تكون عندك روح جهادية عالية، في ظل دولة الإمام علي، في ظل أيِّ وضعية كانت، أنها روح دائماً يجب أن تكون موجودة لدى كل فرد في الأمة.

لأن هذه الأمة لها أعداء، والأعداء الله أخبر عنهم هكذا: ﴿وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ أي: هو يلامس القضية الخطيرة لديك، هو من أجل أن ترتدّ عن دينك، لم يبق أمامك إلاّ أن تكون مستعداً دائماً دائماً، ولديك روح جهادية عالية دائماً، وإلاّ قد تؤدي النتيجة في الأخير إلى أن يتغلب عليك العدو، وقد يذلك ويقهرك ويردك عن دينك فعلاً، أو يرد آخرين عن دينهم بسبب تخاذلك أنت.

أي: أننا عندما نتحدث مع الناس في هذا الوقت لا يُعتبَر أنه موضوع جديد، إن الدِّين كان مثلما كنا عليه في سنين مُعيَّنة ألفناها من قبل، لا يوجد أيُّ كلام حول موضوع جهاد إلاّ نادراً! إن تلك الحالة هي الحالة الشاذة، لكن الحالة الصحيحة هي هذه: التوجيه للمسلمين دائماً أن يكونوا مستعدين، وعندهم روح جهادية، وعندهم إيمان قوي بالله، وعندهم معرفة للعدو أنه دائماً يحمل هذه الروح العدائية التي تلامس أخطر قضية لديهم: وهي قضية الدِّين، لو أن العدو مثلاً معه مطلب مُعيَّن قد ربما يقولون: (معه مطلب مُعيَّن لا بأس أعطُوه)! لكن لا تحصل، العدو نفسه هو يتجه إلى القضية الرئيسية عندك، هو سيجعلك بين خيارين: إمَّا أن تكون من أصحاب النار، أو تكون كما قال بعد: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(البقرة:٢١٨).

بعد موضوع الجهاد يأتي بآية حول الخمر والميسر: ﴿يَسْأَلونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَفْعِهِمَا وَيَسْأَلونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾(البقرة:٢١٩) لاحِظ أن هدى الله سبحانه وتعالى يُقدَّم للإنسان بالشكل الذي يجعل نفسه زاكية، إنسان قادر، أي: ذهنيته متوقدة، قادرٌ على أن يعقل، وأن يتفكر، وأن يكون إنساناً متزناً. الخمر يضرب هذه الحالة، يضرب هذا الأثر الذي يُراد أن يكون في نفسية الإنسان من خلال هدى الله، الخمر يؤثر على نفسية الإنسان، على عقليته، على ذهنيته، على اتزانه، على حلمه، على الحكمة لديه؛ لأن السير على هدى الله يعطي الإنسان حكمة، الخمر ينسف الحكمة تماماً، ينسف الاتزان، يصبح إنساناً لا شيء في الأخير لا يعود لك قيمة.

إذاً فتحريمه قضية مهمة، قضية أساسية، يبقى الإنسان مستقيماً على هدى الله، فيصل إلى المستوى

الذي يظهر من خلال تصرفاته، وتفكيره، وآرائه، ومفاهيمه حكمة هذا الهدى الذي جاء من عند الله، آيات الله من قيمتها: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ هل الخمر سيتركك تتفكر؟ الخمر لا يتركك تتفكر في شيء، بل تكون إنساناً تتخبط بكلامك وتصرفاتك، وتفكيرك يكون تفكير سفاهة.

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ * فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ﴾(البقرة:٢١٩، ٢٢٠) هذه دائرة التفكر والتذكر في موضوع الدنيا والآخرة.

ثم ذكر موضوع اليتامى، هنا تجد كيف أن تشريع الله، أن هدى الله يُقدِّم اهتماماً بمختلف القضايا، وبشكل واسع، يتحدث عن الخمر، يتحدث عن اليتامى، يتحدث عن نكاح المشركات، وإنكاح المشركين فينهى عنها، ويُبيِّن الحكمة أو الأثر الطيب من وراء تحريم نكاح المشركة أو إنكاح المشرك ﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾(البقرة:٢٢١) لاحِظ هنا يُبيِّن الأشياء التي لها أثر في أن تبقى ويبقى المجتمع ميداناً صالحاً لتقبل هدى الله؛ لأن هدى الله هو يدعو الناس إلى الجنة، وهدى الله يبني نفسيات الناس وذهنيتهم، فيكونون قادرين على التفكر، ويكونون حكماء، فالخمر يضرب موضوع التفكر.

والمشركون، أن تزوج مشركاً سيدعو قريبتك وأولادها إلى النار، أو تتزوج بمشركة ستشتغل هي داخل المجتمع داعية إلى النار، أليس هذا متضاداً مع ما يدعو إليه هدى الله؟ لذلك تجد الأشياء التي تشكّل صيانة للمجتمع بألاّ يكون بعيداً عمَّا يراد له من خلال ما يُقدَّم له من هدى الله، فحرم الأشياء التي تشكّل خللاً؛ لأنه كيف يمكن أن يكون هدى الله يدعو الناس إلى الجنة، ويبيح في نفس الوقت نكاح المشركات، وتدخل في كل أسرة داعية إلى النار؟! أليس هذا يُعتبَر خللاً؟ يُعتبَر تناقضاً، فكان من الحكمة أن يُحرَّم هذا، ألاَّ يكون في كل بيت داعية إلى النار؛ لأن الله يدعو عباده إلى الجنة فيبعدهم عن الدعاة إلى النار.

يذكر قضايا أخرى فيما يتعلق بالتعامل مع النساء، يذكر قضية أخرى فيها تأديب للناس عندما يغضب الإنسان مثلاً (لا يكن كلما غضب وقد الباري في طرف فمه) كما يقال ﴿وَلاَ تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَن تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾(البقرة:٢٢٤) عندما يقول: قد حلفت، ممكن أن تغضب لكن لا يدفعك بسرعة إلى أن تحلف ألاَّ تتدخل في الموضوع الفلاني، تحلف بالله ألاّ تُصلح بين فلان وزوجته أو بين فلان وفلان.

فيما يتعلق بموضوع (الإيلاء) من النساء، الذي يُقسِم على نفسه بألاّ يَقرَب زوجته، له أربعة أشهر وبعدها إمَّا أن يفيئ فيرجع إليها، أو يطلق.

كذلك موضوع المطلقات، والطلاق هنا قدِّم بضوابط هامة يجب على الناس أن يراعوها فعلاً بالنسبة للطلاق، لا يجعل الإنسان الطلاق أيضاً قضية عندما يغضب وعندما ينفعل يطلق فيكون هو سريعاً في هذا، لا، الطلاق له ضوابط، والطلاق يتم بطريقة أيضاً فيها مراعاة لمشاعر المرأة نفسها؛ ولهذا أوجب المتاع، أو المتعة: المرأة التي تطلقها يجب عليك أن تمتعها بشيء، تعطيها ملابس مثلاً، أو تعطيها شيئاً من أثاث البيت الذي كان موجوداً، لا تتم عملية الطلاق وكأنها طرد، تطرد امرأة وقد جلست معها سنين، وتمثل سكناً لك ولباساً لك، كما قال الله: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾(البقرة:١٨٧) ثم في يوم من الأيام تطردها.

الطلاق لا يمثل بالنسبة للمرأة عملية طرد، هو يمثل عملية انفصال، عندما تكون الحالة غير قابلة للبقاء مع بعض، لم يعد هناك وضعية منسجمة فيما بينهم، عملية انفصال باحترام، انفصال بهدوء، انفصال لا يجرح مشاعر المرأة نفسها؛ ولهذا ذكر فيما يتعلق بالطلاق: ﴿الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ﴾ أول شيء في البداية قال: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾(البقرة:٢٢٨، ٢٢٩) ﴿الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ﴾ لا تصبح المرأة محط تلاعب للرجل، فلا يكون هناك نهاية للطلاق: يطلق ثم يتراجع، وقعد فترة ثم طلق وتراجع، ثم طلق وتراجع، لا يوجد، فقط ﴿مَرَّتَانِ﴾ الذي يمكن فيها مراجعة. المرَّة الثالثة لم تعد تحل له ﴿حَتَّىَ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾(البقرة:٢٣٠).

﴿الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ الآية توحي بأن المفترض أن يكون الطلاق على هذا النحو – يوجد حالة أخرى هي تُعتبَر حالة نادرة – أي: أن يكون الطلاق على هذا النحو الذي يمكن فيها مراجعة، أي: ما زالت تُعتبَر في ملكه – كما نقول – حال العدة في الطلاق الرجعي يمكن للإنسان أن يتراجعها، فالطلاق عندما يكون على هذا النحو، العدة هي أشهر مُعيَّنة، أو قروء مُعيَّنة (ثلاث حيضات) فأثناء هذه العدة إلى قرب نهايتها له أن يمسكها لكن ﴿إِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ﴾ وليس إمساك مضارّة ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ يترك العدة

تنتهي، وتسريح لها بإحسان، لاحِظ هنا كيف العبارة: ﴿أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ أي: ليس الطلاق يمثل عملية طرد للمرأة، وقهر لنفسيتها.

﴿وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾ يريد أحد أن يسترجع المهر، أو يريد أن يسترجع بعض الذي خسره في وليمة العرس ﴿وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾ أو شيئاً اشتريته أنت لها وهي في بيتك، شيء من كسوتها، أو شيء من حُليِّها، أو أشياء من هذه باعتبار لها أو شيء تجعله لها.

﴿إِلاَّ أَن يَخَافَا أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾(البقرة:٢٢٩) عندما تصبح المسألة عملية افتداء من جانب المرأة بأن تتخلص من هذا الرجل الذي عشرته سيئة، أصبحت كارهة له، فلا بأس، لكن المسألة لا تعني: أنه بالنسبة للرجل يُعتبَر حلالاً له، إلاّ أن المسألة تجوز بالنسبة للمرأة وإلاّ فالمفترض أن يتقيَّد بالطريقة الأولى: ﴿وَلاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾.

﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ في عملية هي ليتحقق الانفصال فيما بينهم ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(البقرة:٢٢٩) فهو يذكر فيما يتعلق بالطلاق، فيما يتعلق بالعدة، فيما يتعلق بالعِشرة يسميها حدوداً لا يجوز للناس أن يعتدوها، ولا أن يسير الناس وراء عبارات الفقهاء في كثير من التفريعات التي لا تكون منسجمة مع القرآن الكريم، الأساس هو القرآن.

﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ أي: لا ينبغي للإنسان أن يطلق زوجته إلاّ على هذه الطريقة: يطلقها الطلاق الشرعي، تكون مستقبلة لعدتها، أي: يطلقها في طهر لا وطء فيه، لا يكون قد جامعها، إذا قد أراد أن يطلقها فلْيطلقها في وضعية يكون القرار من عنده قراراً في وضعية طبيعية لا يكون في حالة غضب أو أشياء من هذه.

أن يترك الناس هذه العادة، هذه العادة أصبحت شبه سائدة بين الناس أن يأخذ الذي يسمونه: (مرجوع) هكذا باستمرار. هذه الطريقة ليست صحيحة، وأحياناً قد تكون من الأشياء التي تؤدي إلى ارتفاع المهر، ارتفاع المهر عندما يكون الولي هو الذي يأخذ المهر هو، وإذا بالمرأة تُظلَم لا يحصل لها شيء من المهر، وتبقى في بيت الزوج سنين، وفي الأخير يطلقها، ويسترد الزوج المهر، لا يُسَلَّم لها مهر، ولا تُعطَى شيئاً، لا يصل إلى يديها شيء، تُطرد من البيت حتى إن المتعة لا تأتي لها، المتعة قد نسيها الناس بسبب بعض التفريعات الفقهية.

﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾(البقرة:٢٤١) بعدما ذكر المطلقات وأنواع المطلقات يأتي في الأخير بهذه الآية: ﴿حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ متعة معناها: أن تعطيها شيئاً، تمتعها بشيء، حتى لا تبدو العملية وكأنها عملية طرد، عملية نفي، بل يعطيها ملابس أو يعطيها مبلغاً من الفلوس.

﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلاَ تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ﴾(البقرة:٢٣٠) بعدما قال هناك: ﴿الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾(البقرة:٢٢٩). ﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾(البقرة:٢٣٠) أي: تنظم عشرتهم فيما بينهم ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾(البقرة:٢٢٨) ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(البقرة:٢٣٠) يفهمونها، وفي نفس الوقت يعلمون أهميتها، ويعلمون أثرها فيما يتعلق بالمجتمع، فيما يتعلق بالأسر.

في موضوع الطلاق يأتي بكثير من هذه الآيات ثم يقول: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(البقرة:٢٢٩). ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(البقرة:٢٣٠) وبعد يقول: ﴿وَلاَ تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾(البقرة:٢٣١) لأنها قضايا مؤكدة، وضوابط يجب الالتزام بها.

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلاَ تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ كم يوجد من تأكيدات في هذه! ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(البقرة:٢٣١) عندما يحصل طلاق للمرأة قاربت في انتهاء العدة ﴿فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ﴾ أشرفت على نهاية العدة، يُبيِّن لك القضية هنا داخلها: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾.

أليست هذه الآيات توحي بأن الطلاق ينبغي أن يكون رجعياً على هذا النحو: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلاَ تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا﴾؟ لاحِظ أهمية هذه التوجيهات الإلهية؛ لأن القرآن أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض، وأن كل قضية يكون لها علاقة بموضوع الدِّين بشكل عام.

موضوع الطلاق مثلاً أليس يأتي أحياناً من بعض المجتمعات خاصة المجتمعات الغربية محاولة أنه

لماذا المرأة لا يكون لها الحق في أن تُطلِّق؟ هذا عندما يُفهَم أن الطلاق عملية نفي، عملية طرد، أمَّا عندما يتم الطلاق على هذه الطريقة الصحيحة، الطريقة القرآنية، فمعنى هذا بأنه لا تُعتبَر مشكلة: أن يكون من جهة الرجل العبارات التي تعني ماذا؟ إصدار الطلاق؛ لأنه يتم في أجواء: بإحسان، بمعروف، ورعاية، ومتعة ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ﴾(البقرة:٢٣٦) مثلما قال في الآية الأخرى. أي: لاحِظ بأن هذه القضية تبدو أنها قضية سهلة، عملية انفصال زوجين (امرأة ورجل) أليست تبدو وكأنها قضية سهلة؟ قضية لها علاقة بالدِّين.

عندما تقدَّم بطريقة غير صحيحة، وعندما تكون عبارات المفرعين من الفقهاء تقدَّم جافة، ويلاحِظ لك فقط العقود، ما هي العبارات التي يتم بها الطلاق؟! ولم يعودوا يلاحظون أشياء من هذه التي هي هامة جداً، أي: من أهميتها في هذا الزمن بالذات أنه عندما يكون الناس فاهمين، الرجل والمرأة فاهمان أن الطلاق يجب أن يتم على هذه الطريقة، وأن يتم في أجواء فيها معروف وإحسان، معنى هذا أنه لا يُعتبَر الطلاق عملية تستخدم للتشنيع على هذا الحكم الإلهي في دين الله، في الإسلام.

الغربيون يشنعون بها، يعتبرون وكأنه لماذا الرجل له حق أن يُصدِر عبارة وتفصل المرأة، طردها وهي لا تمتلك شيئاً، لا، لاحِظ هذه الأجواء كلها تجعل عملية الطلاق طبيعية جداً، لا تُعتبَر عملية طرد، عملية نفي، أن تصدر الكلمة من الرجل لم تعد تمثل شيئاً اختص به الرجل دون المرأة في الواقع، اختص به وكأن له حقاً أن يطردها وليس لها حق أن تطرده. هذه القضية هامة؛ ولهذا أكدها من أول الآيات: ﴿الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾(البقرة:٢٢٩) ثم يذكر بعد: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾(البقرة:٢٣١) فإن تراجعتها فلا تتراجعها من أجل أن تضارّها، بل على أساس أنك تتعامل معها تعاملاً جيداً وتعاشرها عشرة جيدة ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾. فعندما يقول: ﴿وَلاَ تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا﴾، ﴿وتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا﴾ أي: أن هذه تبيِّن لك أنها قضية هامة، والقضايا الهامة معناها: أنه يكون لها علاقة بأشياء أخرى كثيرة، فعلاً الآن تلاحِظ عملية الطلاق من الأشياء التي يشنعون بها على هذا الدِّين لماذا يوجَد في الإسلام طلاق؟! عندما فهموا الطلاق وكأنها عملية طرد.

﴿وَلاَ تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ﴾ هذه تصرفات حكيمة وجَّه الناس إليها في عملية انفصال الرجل والمرأة ﴿يَعِظُكُم بِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(البقرة:٢٣١) أليس هذا تأكيداً هاماً يدل على أن هذه المسألة لها علاقة بأشياء كثيرة؟ فنرى في زماننا هذا وإذا لها علاقة بموضوع الدِّين بكله، كان تقديمها بشكل غير مناسب جعل الآخرين يستخدمونها دعاية يشنعون بها على الإسلام، مع أنها قضية هامة أن يكون بإمكان الزوجين عندما يرون بأنه لم يعد هناك رغبة لبعضهم بعض، ولم يعد هناك إمكانية لعِشرة جيدة فيما بينهم فهناك عملية انفصال فهي تُعتبَر رحمة، تُعتبَر نعمة من الله أنه يسمح بهذا، لكن يجب أن تتم في أجواء من هذه التي ذكرها: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾(البقرة:٢٢٩).

﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾(البقرة:٢٣٢) جعل الله سبحانه وتعالى تشريعه (هُداه) من أجل أن يكون الناس زاكين وطاهرين، فمثلاً الشخص الذي طلق قريبتك سواءً يريد أن يتراجعها أثناء العدة، أو قد انتهت العدة ويريد أن يعود إليها بعقد جديد لا تمنع من هذا، إذا كان هناك احتمال أن يتم الزواج فيما بينهما بطريقة أصبحوا راغبين أن يعودوا إلى بعضهم بعض ﴿فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ﴾ لا تمنعوهن، هذا ﴿أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ أشرف حتى لعرضك، أليس الإنسان حريصاً على عرضه؟ هذا أزكى لكم وأطهر، أبعد من الظلم، أن تظلمها وهي راغبة أن تعود إلى زوجها، ولو قد انتهت العدة ما دامت هي راغبة وهو راغب، إذاً تعقد بها من جديد وتعود إلى بيته.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ قد تكون كثير من حالات الطلاق التي تتم في وضعية مُعيَّنة بعد انتهاء العدة، أو أثناء مرور فترة من العدة كل واحد من الزوجين يراجع حساباته وندموا، فلا يبقَ الأولياء يشكلون عائقاً، هذه القضية هامة، فما دامت هي راغبة أن ترجع، ويكونون راغبين أن يعودوا إلى بعضهم بعض فليتعاون الإنسان إلى أن يعيدهم، إلاّ إذا كان هذا الإنسان سيئاً، بمعنى: أن خروجها منه كان فرصة لتتخلص منه. إذا كان هناك رغبة متبادلة فيما بينها وبينه ﴿فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ﴾، ﴿إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكُمْ أَزْكَى لَكُمْ وَأَطْهَرُ وَاللَّهُ

﴿يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾(البقرة:٢٣٢) لا يحصل عندك التي يسمونها (أنفة) فيكون هذا مستكبراً فلا يرضى، لا، طبيعي اتركها ترجع له، وتعقد بها وترجع له.

يأتي الحديث عن إرضاع الأولاد، وهكذا يستمر الموضوع، خلاصة ما نفهم من هذه: أن دين الله يهتم بالقضايا كلها الكبيرة والصغيرة، وأنه دين شامل، يعالج كل مناحي الحياة، وكل ما يتحرك الناس فيه، سواءً كان في مجال قتال في سبيل الله، أو في علاقاتهم الخاصة فيما بينهم، علاقة الأسرة فيما بينها، وعلاقتهم مع بعضهم بعض.

يستمر الموضوع في هذه الآيات بكلها في قضايا الطلاق، والعدة، وعدة الوفاة، ثم يذكر سبحانه وتعالى موضوعاً جديداً موضوع الصلاة، لاحِظ أليس هو هنا ينتقل الموضوع من جهاد إلى إنفاق، إلى موضوع نكاح وطلاق، ثم إلى جوانب أخرى، إلى موضوع الصلاة؟ ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ * فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾(البقرة:٢٣٨، ٢٣٩) الصلاة هامة جداً تجد لها ذكراً متكرراً في القرآن الكريم، في مواضيع كثيرة وكأنها عبادة لها علاقة بمختلف الأشياء، أي: تساعد الناس على أن يحافظوا على حدود الله، تجد موضوع النكاح والطلاق، وأشياء من هذه، أليست في كلام فيما نسميه حدوداً لا يتعدونها؟ ترى الصلاة لها علاقة تقريباً بكل الأشياء، وكأن الحفاظ عليها فعلاً يساعد على أن تحافظ على حدود الله؛ لأن الصلاة من أهم الأشياء فيها تذكّر الله، ذكر الله وتذكّره، إذا كنتَ متذكّراً لله يدفعك ذكره وتذكّره إلى أن تحافظ على حدوده في كل المجالات.

﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الْوُسْطَى﴾ الصلاة الوسطى يقال عنها: إنها صلاة الجمعة بالنسبة للأيام، وأنها صلاة الظهر بالنسبة لعدد الصلوات ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ حتى تتم الصلاة بتوجُّه لله هذه القضية في موضوع أن تكون العبادات عندما تؤدي عبادة من العبادات كلها تتوجه بها ﴿لِلَّهِ﴾ لله جاءت في مختلف العبادات، قتال في سبيل الله، في الصلاة يقول لك: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ خاشعين متذللين، أي: تعرف بأنك في الصلاة تؤدي عبادة تتوجه بها إلى الله في مقام كما يقال: بين يدي الله، تناجي الله.

وكما هو الحال بالنسبة لتشريع الله سبحانه وتعالى أنه يراعي كل الاعتبارات: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ عندما تريد أن تؤدي الصلاة على ما شُرِعت عليه تماماً قد تؤدي إلى أن تعرِّضك لخوف، أي: قد تؤدي بك إلى خطورة كبيرة، فصلِّ على هذه الوضعية: ﴿فإن خفتم فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا﴾ إذا كنت خائفاً وأنت في وقت الصلاة فصلِّ على الحالة لا تُعتبَر تاركاً للصلاة نهائياً، يخرج وقتها وينتهي وأنت لم تصلِّ، صلِّ على الحالة ولو كنتَ في السيارة متحركاً، أو كنتَ في ميدان مواجهة مثلما يصلون بما يسمونها: (المسايفة) يصلي وهو يقاتل، يذكر الله، وبما تحصل من قرآن، وتسبيح، وتكبير، ويكفي.

وكأنها لا تختص ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ بشكل عام، وليس فقط فإن خفتم مثلاً وأنت في ميدان المواجهة مع عدو، مع كفار، مع يهود، مع نصارى، مع مجرمين، في سبيل الله، أي: في ميدان القتال. عندما تكون خائفاً وأنت في سيارتك هناك أناس مثلاً يطاردونك يريدون أن يقتلوك ويأخذوا سيارتك، وأنت ترى الوقت، وأنت بين خيارين إمَّا أن تتوقف وتصلي ولحقوا بك، أو أنك ماذا؟ لا تصلي نهائياً، وذهب الوقت، صلِّ وأنت سائق ومتحرك ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً أَوْ رُكْبَانًا﴾ لأن الله يقول: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾(الحج:٧٨) فإذا كنت خائفاً تصبح بين خيارين في واقعك، أن تؤدي الصلاة بهذا الشكل: تكبِّر، وتقرأ، وتركع، وتسجد إلى آخر الركعات التي تستلزم مكاناً مُعيَّناً، وتأخذ وقتاً في مكان مُعيَّن، أليست الصلاة وقفة؟ وقفة، إذا كانت هذه الوقفة تشكّل خطورة عليك فصلِّ وأنت إمَّا راجل، أي: تمشي، أو راكب. ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾(البقرة:٢٣٩) فتؤدي الصلاة بالشكل الكامل الذي شُرِعت عليه من قيام وركوع وسجود باعتبارها وقفة في موضع واحد.

ثم قال تعالى بعد أن ذكر الموضوع بالنسبة للمرأة التي يُتوفى عنها زوجُها، وهاتان الآيتان[1] من الآيات التي واحدة يسمونها ناسخة وواحدة يسمونها منسوخة! والإشكالية فيها أيضاً يعتبرون أنه كيف كانت الآية الناسخة مُتقدِّمة والمنسوخة متأخرة؟! والشيء الطبيعي فيما يُسمُّونه ناسخاً ومنسوخاً: أن الناسخ يكون هو

(١) الأولى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(البقرة:٢٣٤).

الثانية: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِم مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(البقرة:٢٤٠).

المتأخر، لا، كل آية هي تذكر قضية خاصة، الآية الأولى في موضوع: العدة، أن المرأة عندما يُتوفى عنها زوجُها مُلزَمة بأن تتربص بنفسها، أي: تمسك نفسها، وتُنظِر نفسها لا تتزوج أربعة أشهر وعشراً.

هذه الآية تتحدث عن حق للمرأة نفسها، أن تبقى في بيت الزوج سنة كاملة إذا أحبت، كل قضية وحدها، أي: لها أن تبقى في بيته، أن تستنفق من أمواله، من تركته، أن تسكن في نفس البيت متاعاً كما قال: ﴿مَتَاعًا﴾ هنا سماها: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِم مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾(البقرة:٢٤٠) هذا موضوع آخر: ﴿مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ ليست حول موضوع العدة، العدة هناك في الآية السابقة.

﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾ إذا أرادت أن تخرج هي سواءً ما زالت أثناء العدة تعتد في بيت أهلها مثلاً، أو بعد انتهاء العدة فلا بأس، أمَّا الحق فلها الحق أن تبقى، وهذه قضية هامة. قد يُتوفى الإنسان، ويقال لزوجته: (مع السلامة) مثلاً، خاصة إذا لم يكن معها أولاد في البيت، أو ليس معها إلاّ ولد واحد، ويكونون هم يريدون: هيّا تخرج، لا، بل تبقى سنة، أثناء سنة يمكن أن تفكر في كيف تكون وضعيتها في المستقبل، أثناء السنة؛ ولهذا سماها متاعاً، متاعاً حتى يتهيأ لها نقلة جديدة: إمَّا أن تستقر في نفس البيت، أو أن ترجع إلى بيت أهلها وتكون وضعية مستقرة في بيت أهلها، أو يكون هناك بيت مستقل، أو يكون بإمكانها أن تتزوج.

ثم قال تعالى: ﴿وَلِلْمُطَلَّقَاتِ مَتَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾(البقرة:٢٤١) يجب أن يتنبه الناس لهذا جميعاً، فإذا طلق أحد امرأة مهما كان حَنقُه عليها فلْيقدِّم لها شيئاً، يُقدِّم لها ملابس مثلاً، أو يُقدِّم لها فلوساً أو أيِّ شيء يُعتبَر (تطييباً) لنفسها ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(البقرة:٢٤٢).

ثم قال تعالى في موضوع الجهاد، يحكي قصة فيمن جبنوا، وخرجوا من ديارهم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾ وهم ألوف! خرجوا من ديارهم، الله أعلم في أيِّ أمة، يقول البعض: بأن هؤلاء كانوا من بني إسرائيل ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ قد تكون هذه أحياهم هم ليأخذوا عبرة من هذه، أو أحيا تلك الأمة مثلاً جيلاً من بعدهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ﴾(البقرة:٢٤٣) وهذه لها علاقة بالآية السابقة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾(البقرة:٢١٦).

لاحِظ هؤلاء، أليسوا وقعوا في مصيبة؟ هم خائفون من الموت، وقعوا في الموت، بل هذه تبدو أنها قضية لها علاقة بالناس الذين يتراجعون عن القتال في سبيل الله بدافع الخوف، والحرص على الحياة، يُعرِّضون أعمارهم لأن تُقصَف سريعاً! هذه آية من الآيات، وآية أخرى: ﴿قُلْ لَن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ﴾ ﴿وَإِذًا﴾ لاحِظ هنا: ﴿وَإِذًا لاَ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾(الأحزاب:١٦) هذه ليست قضية سهلة أي: أنت عندما تكون حريصاً على حياتك، وترى أن عمرك ما زال ثلاثين، أو أربعين، أو عشرين، أو خمسة وعشرين، وتظن أنك عندما تنطلق في قتال أنك ستخسر ما تبقى من عمرك، ربما تقتل، وما زال متبقياً من عمرك مثلاً، ما زال عندك أمل ربما أربعين سنة، ربما، لا.

هذه الآيات هي بمعنى ماذا؟ تلك، عملية التحيل على الله؛ لذا نقول دائماً: إنه يجب على الإنسان أن يفهم بأنه لا يمكن أن يكون ذكياً أمام الله، أنت عندما تجبُن، وتخاف من أجل أنك حريص على حياتك تُقصَف حياتك: ﴿وَإِذًا لاَ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾(الأحزاب:١٦) قد تموت بعد سنة، أو سنتين، أي: تخسر فعلاً، ربما لو انطلقت تقاتل في سبيل الله قد لا تُقتَل، إن قتِلت كانت شهادة، وحياة أطول من الحياة التي أنت حريص عليها، أليست أطول؟ نقلك إلى حياة حتى فيها فارق كبير جداً؛ لأن الشهيد يعيش حالة طمأنينة وهو في حياته، يعلم أنه قد صار في موضع آمن، أنه في موضع آمن في الحياة بعد أن يتحول إلى حي.

ويبدو أن الشهيد لا يموت نهائياً – قد صارت هي الموتة الواحدة – حتى ولا يوم القيامة مع زلزلة الأشياء؛ لأنه في آيات أخرى يقول الله فيها: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ﴾(الزمر:٦٨) إلاّ من شاء الله هنا توجد عملية استثناء، فكأن هؤلاء الشهداء هم فعلاً يذهبون إلى الجنة، ذلك الجسم عبارة عن (بدلة) خلعها فقط.

إذاً فإذا كنتَ حريصاً على حياتك فمن خلال القتال في سبيل الله لو قُتِلت أنت ستدخل إلى الحياة الأبدية بسرعة أفضل من أن تحرص على عدد من السنين، هي في ذهنيتك، وأنت لا تستطيع أن تضمن نفسك، لا تستطيع أن تضمن بأنك ستعمر إلى سن ثمانين أو خمسٍ وسبعين سنة. هذه الآيات نفسها هي تدل على أنه قد تُقصَف فعلاً ﴿وَإِذاً لاَ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ (الأحزاب:١٦) لأن هؤلاء ربما يكونون قد رأوا أن القتال كره لهم تركوا

ديارهم وخرجوا، أليسوا وقعوا هم في شر؟ ﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾ لهذا الإمام علي عليه السلام له كلمة معروفة عنه قال: (بَقيَّة السيف أبقى ولداً وأنمى عدداً).

إذاً فهذه هي قضية خطيرة جداً يجب أن نتنبه لها، أي: عندما تتذكر بشكل كامل تجد بأنك تُعتبَر خاسراً عندما تجبُن عن القتال في سبيل الله، وأنك تعرِّض نفسك لأن يُقصَف عمرك فتخسر الحياة الأولى والحياة الأخرى.

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(البقرة:٢٤٤) لاحِظ كم تكرر موضوع القتال في سبيل الله في سورة واحدة؛ لأنها قضية هامة جداً، ثم التأكيد على أن يكون ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾. في سبيل الله هذه قضية يجب أن يكون الناس متأكدين منها، أن تكون نواياهم كلها وهم ينطلقون أنه ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ومعنى في سبيل الله: أن يكون توجهك أنه لله، واستجابة لله، وفي سبيله، في نفس الطريق التي رسمها لأن تقاتل فيها، نفس الطريق التي رسمها أن تسير عليها وأنت تقاتل، هي تعني: الموضوعين، هذه قضية هامة. ثم بيَّن من الناحية العملية الإيجابية الكبيرة لمن انطلقوا مقاتلين في سبيل الله، ثم قال بعد هذه: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(البقرة:٢٤٤) هو يسمعك ويعلم بنواياك، ولا يغفل عن أحد.

لأهمية الإنفاق جاءت الآية بشكل آخر قال في آية سابقة: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾(البقرة:١٩٥). لأهمية الإنفاق هنا قدَّمه بعبارة لا تقل أهمية عن العبارة الأولى، وعبارة توحي أيضاً بخطورة التهاون بهذا الموضوع: الإنفاق في سبيل الله، هنا قال: ﴿مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(البقرة:٢٤٥) بعدما ذكر القتال قدَّم المسألة وكأنه هو يستقرض! هذه توحي بأهمية ذلك الموضوع بشكل رهيب جداً، عندما يأتي الله سبحانه وتعالى بهذه العبارة التي قد يقولها أيُّ واحد منا عندما يحتاج إلى قَرْض من الآخرين: (من الذي عنده لي ألف ريال قرضة؟) أليس الواحد منا يقول هكذا؟

لأن القتال في سبيل الله يحتاج إلى تمويل، يحتاج إلى إنفاق، وأن الله سيعتبر ما يقدِّمه الإنسان وكأنه قرض له، فيضاعفه له أضعافاً كثيرة، يرد عليك بأكثر مما أعطيت بأضعاف كثيرة، إضافة إلى الأجر المرصود لك في الآخرة. هذه الآية نفسها توحي بأنه بعد أن يستقرض الله عباده ليمولوا موضوعاً هو خير لهم فيحصل إهمال، ويحصل إمساك للأيدي، يأتي بعدها غضبة شديدة من الله؛ لأن هذه العبارة تُعتبَر - لكن لا يمكن أحياناً نعبر فيما يتعلق بالله ببعض العبارات - معناه: عندما آتي أنا أمارس هذا الموضوع فإنني حططْت نفسيتي أمامك، أليس هذا مثل قولك عندما تدخل مجلساً وتقول: (يا جماعة من الذي سيقرضني ألف ريال أحاسب فلاناً؟) صاحبَ سيارة مثلاً، أو أيَّ شيء، أليست حالة وكأنه لا يوجَد في المجلس شخص مُعيَّن أنت معتمد عليه أن يُقدِّم لك هو أو تأخذ من جيبه؟ كيف ستكون أنت عندما تخرج من مجلس وقد قلت هذه العبارة التي تُعتبَر - نوعاً ما - فيها حط لنفسيتك؟ أليس فيها حط لنفسيتك؟ ستقول: (كم أناس في هذا المجلس ولم يقرضني منهم أحد) ألست تعتبرهم أناساً سيئين، ستعتبرهم أناساً لا يُعتمد عليهم؟

الله عندما يأتي بهذه العبارة قد توحي بغضب شديد بعدها إذا لم يكن هناك انطلاقة من الناس أن ينفقوا في سبيله، قد استقرضهم وهو غني، يُبيِّن من خلال هذه أهمية الموضوع، وأنك لم تعد تثق بي في قرض! معناها في الأخير لم نعد نثق بالله في قرض، لم نعد نتعامل معه كما نتعامل مع أيِّ واحد منا عندما يأتي شخص يستقرض منك ألست قد تعطيه قرضاً؟ الله يقول اعتبرها عندي قرضاً، أليس يقول هكذا؟ ولن يرد لك نفس المبلغ بل سيرد لك بأضعاف مضاعفة. إذاً ماذا وراء هذه؟ وراءها كما نقول نحن في تعبيرنا: (قَلْبَة وجه خطيرة) حقيقة، وراءها غضب شديد لأن معناه: أنه لم يعد أحد يثق بالباري ولا يقرضه مائة ريال أليس معنى هذا بأنه كفر بالله، وليس لله في أنفسنا أيُّ شعور بإجلال، أو عظمة، أو حب، أو إكبار له؟

وهو سبحانه وتعالى عندما يستقرض هو الذي ﴿يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾(البقرة:٢٤٥) عندما تقبض يدك يمكن أن يقبض عليك أشياء كثيرة فعلاً، وعندما تبسط سيرد لك أضعافاً مضاعفة هو الذي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(البقرة:٢٤٥) في الأخير، فإن قبضت سيقبض عليك أشياء هامة جداً، أليست خسارة كبيرة أن يقبض عليك الجنة؟ فلا يدخلك الجنة، وتساق إلى النار؟ ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ فيثيبك عندما تنفق في سبيله.

هنا يلاحظ الإنسان أهمية الجهاد في سبيل الله، والإنفاق في سبيله بأنهما قضيتان مترابطتان، بل قدَّمها في آيات أخرى سماها جهاداً كلها: ﴿وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾(التوبة:٢٠) ألم يجعلها عملية

واحدة جهاداً بالمال وبالنفس؟ جعل الإنفاق في سبيله عبارة عن جهاد، وجعل مقومات الجهاد هي هذه: جهاد بالنفس وبالمال.

بعد أن قال: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾(البقرة:٢٤٤) ضرب لنا مثلاً رائعاً من بني إسرائيل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾(البقرة:٢٤٦) من يأتي لاحتلال أرضك يجب أن تتوجه لقتاله في سبيل الله، وأن تتوجه في سبيل الله، أي: ارفع نيتك، وارفع برأسك إلى الله لا تنزل تحت تقول: (من أجل الوطن، من أجل تربة الوطن) هذه نكسة، هذه النكسة خطيرة، انتكس العرب عندما نكسوا نواياهم إلى أسفل، فالإنسان يرفع نيته إلى الله، يرفع مقصده إلى الله، ويتوجه إلى الله ليرفعه.

لاحِظ كيف ضرب مثلاً رائعاً جداً، وكلاماً هاماً جداً في الموضوع: من انطلقوا يقاتلون في سبيله، مع أنهم لم يبقوا في الأخير إلاّ قليل من قليل: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾ قائداً ﴿نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾(البقرة:٢٤٦) هذه القضية معروفة عند بني إسرائيل، ولاحِظ كيف هم خبثاء جداً يعرفون، ونحن نقول أكثر من مرة: هم يحاربوننا وعندهم معرفة بالسُّنن الدِّينية، بالسُّنن الإلهية، يجب أن نكون حذرين، ونكون واعين، من أين جاءت لنا الوطنية والقومية؟ من أين؟ صدَّروها مِن عندهم من أجل أن ننكس رؤوسنا إلى أسفل لينكسونا إلى أسفل. أليس العرب في الأخير انتهوا إلى أن دسوا رؤوسهم في التراب؟ لأنهم يقولون: (وطنية، وطنية، من أجل الوطن، وتربة الوطن) إلى أن دسُّوا رؤوسهم في الوطن، أي: في التربة! يأتي العدو يدوسهم وقد دسوا رؤوسهم، لكن يرفع الناس رؤوسهم إلى الله، تحمى أوطانهم فعلاً، وتصان أوطانهم.

بنو إسرائيل فاهمون في ثقافتهم هذه، أي: الآية تحكي بأنهم في تلك المرحلة فاهمون بأنه يجب أن يتوجهوا ليقاتلوا في سبيل الله، مع أن الدافع لديهم هو ماذا؟ أنهم قد أخرِجوا من ديارهم وأبنائهم، أليس هذا الدفاع الذي يسمَّى الدفاع عن وطن؟ انتقام من عدو أخرجنا من ديارنا وأبنائنا، أليس دفاعاً عن وطن؟ لكن لو قالوا: وطن، نقاتل من أجل الوطن، لن يجيب النبي عليهم، ولن يحصل لهم شيء، معنى هذا أنها قضية مؤكدة لديهم أنه في الوقت الذي هم يحسون فيه بأنهم مضطهدون ومقهورون من جانب عدو أخرجهم من ديارهم وأبنائهم، عليهم أن ينطلقوا في سبيل الله.

لاحِظ الآن عندما انطلق الناس في هذا الموضوع هذا (الشعار) الذي يبدو عملاً سهلاً، أزعجهم جداً؛ لأنه عمل ديني، ولأنه عمل في سبيل الله، قال السفير الأمريكي: (إن بلاده لا تريد أن يتحول عداء الشعب العربي إلى عداء ديني) ما هو العداء الدِّيني؟ أي: لا نريد أن تتحولوا في مواجهتنا تحت عنوان: ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هم عارفون بأنهم سيُهزمون في الأخير هم، يعنون: اعملوا لكم عناوين أخرى قولوا: قتالاً من أجل الوطن، أو دفاعاً عن الوطن، أو بعبارات من هذه! هذه العبارة لا تجد لها في القرآن الكريم – فيما أعتقد – موقعاً على الإطلاق إلاّ مرة واحدة خوطب بها مَن؟ خوطب بها منافقون، لم يخاطب بها مؤمنون: ﴿قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا﴾ إذا ما زال عندكم حرص على أعراضكم، وعلى بيوتكم، وعلى ممتلكاتكم ﴿أَوِ ادْفَعُوا﴾! ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَاتَّبَعْنَاكُمْ﴾(آل عمران:١٦٧) ما خوطب بها المؤمنون أبداً. المؤمنون يوجهون دائماً (المسلمون بشكل عام) أن يتحركوا في سبيل الله وليعرفوا أنها لا تتحرر أوطانهم أبداً بعناوين أخرى إلاّ إذا انطلقوا في سبيل الله، أين البلد الذي قد تحرر من بداية الاستعمار الأول إلى الآن؟ هل هناك بلد تحرر فعلاً بما تعنيه الكلمة وأصبح مستقلاً؟ لا.

بعد الاستعمار الأول خرج المحتل وأبقى أقدامه، أبقى عملاءه، وبعده ماذا؟ تأتي ضغوط أمريكية، واحتلال ونفوذ أمريكي في كل المجالات، ولم يعد من يحكم الناس إلاّ عبارة عن أشخاص عاملين مع السفير الأمريكي، أي: طول هذه الفترة لم يتحرر الناس من المحتل أبداً؛ لأن هذا الشعار الهام لم يُرفع، لم يتوجَّهوا هذا التوجه الهام: ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

ثم انظر إلى أهمية أن يتوجه الناس هذا التوجه: ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ عندما قال هنا في الأخير: ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُوا﴾ ربما عندما ترون القتال ألاَّ تقاتلوا! ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾(البقرة:٢٤٦) أليسوا هنا يذكرون الدافع إلى أن يقاتلوا: أنهم يريدون أن تحرر أوطانهم، وأن ينتقموا من عدوهم؟ لكن وفاهمين كلهم، الملأ منهم، على ما نقول: وجهاؤهم، وكبارهم الذين توجهوا إلى نبيهم وقالوا: ﴿ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا﴾.

هم الآن لا يريدون منا أن نتوجه إلى كتاب الله ورسوله؛ لنعرف كيف نواجههم، ومع مَن نواجه، تعرف أن هذه القضية عندهم معروفة؟ الله ضرب لنا مثلاً منهم هم، أي: عندما نقول: نحن الآن متوجهون ضدكم في سبيل الله، إذا لم يكن هناك لدينا نبي قائم موجود نبينا هو نبي للزمان كله، والكتاب لا يزال موجوداً لنعرف من خلال كتاب الله، ومن خلال سنة رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وتوجيهاته وحركته، كيف يجب أن يكون مقصدنا في مواجهتهم ومع مَن؟ وتحت أيِّ عنوان يكون؟ نحن عندما نعمل هذا نحن إنما عملنا مثلكم سابقاً، لماذا عندما يقول لك: (لا نريد أن يتحوَّل عداء الشعب العربي إلى عداء ديني) أليسوا هنا انطلقوا بعداء ديني عندما قالوا: ﴿نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؟ نقول: نحن فقط نعمل مثلكم فقط، نريد أن نقاتلكم في سبيل الله، ونحاربكم في سبيل الله، ونتحرك في سبيل الله، هم فاهمون.

سهل الآن سُبَّهم، لاحِظ لو ترفع شعار (سب) في المسجد لن يقولوا شيئاً، لكن شعار ديني خطير أن يكون في المسجد له أثر عليهم أكثر من أن يكون في الشارع؛ لأن معناه: عمل ديني؛ ولهذا عندما يرون من هؤلاء الذين يُسجنون يقولون: (القرآن هو الذي دفعَنا إلى أن نهتف بالشعار) هذه قضية تؤثر عليهم جداً، معناه: أنتم ناس متوجهون في سبيل الله، وهم لا يخافون إلاّ من هذه العناوين، ممن يسيرون في سبيل الله وبصدق، وعلى توجه كتاب الله، تريد أن ترفع شعارات أخرى، تريد أن تَسُبَّهم؟! سُبَّهم، أليسوا في المظاهرات يَسُبُّونهم؟ يَسُبُّون (شارون، وبوش) لا يبالون بهذه؟ أو ترفع شعار (وطنية) لا ينزعجون منك، ولا ينزعجون عندما ترفع شعار وطنية (حركة كذا لتحرير الوطن) أو (حركة كذا للدفاع عن الوطن) هذه عارفون أنهم فاشلون، يعتبرونهم فاشلين.

﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ألم تتكرر مرتين من عندهم؟ أي: يعرفون أهمية هذه ﴿وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ﴾ هذه أول مجموعة منهم خرجوا، الأغلبية: ﴿تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ﴾ ثم انظر هذا القليل ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾(البقرة:٢٤٦).

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ أنتم قلتم: نريد ملكاً، أي: قائداً يقودنا. لاحِظ في موضوع القيادة هم يركزون جداً في موضوع القيادة، لازم قيادة تكون مختارة بطريقة إلهية، وليس تحت أيِّ قيادة. هم يعرفون سبيل الله، هو طريق من القيادة والمنهج وبالطريقة التي تُرسم فيها ويسير الناس عليها، وهم يتحركون في سبيله، والهدف هو من أجل الله، وفي سبيله.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ﴾(البقرة:٢٤٧) ليس من الأشخاص الذين هم ينتظرون أنه قد يكون ربما ذلك، أو ذاك، أو ذاك، جاء شخص ليسوا متوقعين أن يكون هو هو، ﴿قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ﴾ هؤلاء الملأ، والكلام من البداية مع الملأ، الملأ: كبار الوجهاء، وكبار الناس، أي: ربما كانوا منتظرين أنه سيقول: أنت يا فلان، أو أنت. ألستم أنتم قلتم إنكم تريدون من جهة النبي نفسه، هو أن يبعث؟! إذاً فالله هو أعلم بمن يصلح للقيادة، أليس هو أعلم؟ قالوا هنا: ﴿وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ﴾ ليس لديه فلوس كثيرة. لاحِظ هذه نظرة ثانية في تقييم مؤهلات القيادة، ليس لديه فلوس ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾(البقرة:٢٤٧) لكن ليس معناه الاصطفاء عليهم، اصطفاه على هؤلاء الملأ الذين قد يتصور كل واحد منهم أنه سيُعيَّن قائداً من عند الله.

﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾ ثم لاحِظ ﴿اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: لكم، أليس ﴿عَلَيْكُمْ﴾ لكم في الواقع؟ لاحِظ كيف انتهت الطريقة بشكل عجيب ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ في تأهيله لقيادتهم ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾(البقرة:٢٤٧) فإذا كان البشر يريدون أن يتحركوا على هداه وفي سبيله فهي هذه، وإن كانوا يريدون هم عناوين أخرى فليتفقوا هم وأنفسهم، عناوين أخرى وقادة آخرين هم يختارونهم وفق مواصفات أخرى، ونظرة أخرى من عندهم، هذا موضوع آخر، يتفقون هم وأنفسهم والنتيجة هم سيرونها في الأخير. أمَّا إذا كنتم تريدون طريق الله فهي هذه، الله يقول: ﴿وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ لا يظنوا أنه لم يعد مع الله مجال إلاّ واحداً منهم، الملأ عندما يكونون اثني عشر أو كم ما كانوا من كبارهم يتصورون أن ليس هناك غيرهم ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ يختار واحداً من هناك لماذا؟ لأنه من أجلهم هم، ولمصلحتهم هم، وحتى تكون العملية ناجحة وينتصروا في الأخير.

لاحِظ في موضوع المال ليس مقياساً، كثير من أصحاب رؤوس الأموال يشكّل المال لديه مصدر خوف، فلا

ينطلق، عندما يقولون: (لماذا لا يكون لديه مال)؟ كثير من أصحاب رؤوس الأموال يجعلهم مالهم يخافون، بعضهم إذا كان هو يدعم مركزاً من المراكز أحياناً بـ(أرز) أو (بزاليا) أو بأشياء من هذه، فإنه يريد أن يفرض عليهم ألاَّ يرفعوا شعاراً من أجل ألاَّ يقولوا بأنه يدعم مركزاً وفيه ناس يرفعون شعاراً، لا يؤثرون على مصالحه، هل هذه النوعية ستقود أمة؟ كثير منهم يكونون بهذا الشكل خوَّافين.

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِن رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلاَئِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِن كُنتُم مُؤْمِنِينَ﴾(البقرة:٢٤٨) فيكون فيه طمأنينة لأنفسهم. إذاً تحركوا بعد، القليل تحرك، ألم يقل: ﴿تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً﴾(البقرة:٢٤٦)؟ بعد ذلك تحرك هؤلاء القليل، وهم آلاف، أي: لا يزال الذين تحركوا كثيراً كما في بعض التفاسير، وليسوا إلاّ قليلاً ممن قعدوا، أي: احسب عشرات الآلاف قعدوا.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ تحرك باتجاه ميدان المعركة مع العدو. هذا القائد اصطفاه الله لاحِظ كيف ترتيباته القيادية: ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً﴾(البقرة:٢٤٩) لاحِظ القليل لم يخرج منهم إلاّ قليل، أي: طالوت نفسه قائد يعرف مجتمعه، ويعرف المواجهة مع العدو تتطلب أناساً ثابتين، وأنه عندما يكون هناك أكثرية هو يعرف أنهم قد ينهزمون فيشكلون هزيمة منكرة، تكون العاقبة سيئة أسوأ مما هم فيه، هو قائد ثابت؛ لأنه لاحَظ ترتيبات العدو هناك هي مبنية على أساس عشرات الآلاف من بني إسرائيل؛ لأنهم ذهبوا كبار بني إسرائيل، أي: معناه المجتمع كله، أليس العدو هناك سيهيئ نفسه لأن يكون بالشكل الذي يواجه مجتمع بني إسرائيل؟ وإذا بنو إسرائيل أول أكثرية منهم تنفصل، ثم ثاني أكثرية منهم تنفصل، بقي القليل في مواجهة جيش هو في إعداده وعدده مرتِّب نفسه لمواجهة عشرات الآلاف.

لكنه قائد ثابت، قائد ليس عنده تراجُع بعدما رأى أول أكثرية تراجعت، ثم بعدما شربوا من النهر، لم يبقَ إلاّ عدد قليل، يقولون بأنهم فقط ثلاثمائة شخص وقليل! وهناك جالوت: الملك نفسه، أن يقود الملك المعركة، أي: معركة هامة وعندما يخرج الملك، أي: يخرج بكامل ما لديه من عدة، وعتاد، وجنود. هنا هذا القائد لم يتراجع يقول: (إذاً ما دام قد رجع الكثير وأمامنا العدو كثير إذاً سنعود) لا، اتجه.

﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ والآخرون ظهر أنهم ليسوا مؤمنين في الأخير، ألم يظهروا أنهم ليسوا مؤمنين؟ الذين تراجعوا من البداية، والذين تراجعوا عندما شربوا من النهر ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ﴾ جاوز النهر ﴿هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾(البقرة:٢٤٩) لأن القضية كبيرة أمامهم، والمؤمنون عادة يتفاوتون في درجات الإيمان، لكن هذه نوعية قد أصبحوا يُعتبَرون راقين جداً، هم قالوا هذه العبارة لكن في الأخير عندما قال الآخرون منهم الذين حكى عنهم هنا: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُلاَقُو اللَّهِ﴾ مستشعرين لقاء الله، ويعرفون أهمية العمل أنهم في سبيله، وأنه لا بُد أن يموتوا، إذا لم يُقتلوا سيموتون.

﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُلاَقُو اللَّهِ كَم مِن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ هم ذكّروهم هنا بقضية ثابتة في التاريخ: ﴿كَم مِن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً﴾ أي: لا تقاس المسألة بالأرقام، بحيث لا بُد أن يكون عددنا كعددهم، أو يكون عتادنا بالكامل كعتادهم: ﴿كَم مِن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(البقرة:٢٤٩) إذاً اتجهوا، ألم تكفِهم كلمة؟ كفتهم كلمة واتجهوا.

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ مَن برز الآن؟ قليل من قليل من قليل! أليسوا الذين برزوا الآن أمام الملك وجنوده؟ ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾(البقرة:٢٥٠) انقطاع إلى الله بمشاعرهم، بنفسياتهم، وثقة بأن الله مع الصابرين، هذه تمثل وعياً إيمانياً.

فالإنسان مهما كان مؤمناً يجب أن يعرف بأنه إنسان يجب أن يكون مستمداً قوته من الله، لا تركن على مجرد إيمانك أنك عندك طاقة من الصبر، أنت، أنت، استفرغ الصبر من الله: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ أي: كأن تقول: صب صباً علينا صبراً ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾(البقرة:٢٥٠).

﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ لاحِظ كيف كانت النتيجة: ﴿فَهَزَمُوهُمْ﴾ هزموا جالوت وجنوده بإذن الله ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾(البقرة:٢٥١) وداود هو واحد من الجنود في ظل قيادة طالوت، كانت هذه قضية عجيبة، وتعطي الناس أملاً كبيراً فيما إذا كانوا صادقين مع الله، أنه قد يأتي النصر في هذه الظروف الحرجة بالشكل الذي يُخزي العدو ويخزي المتراجعين في وقت واحد، كيف ستكون نفسيات الناس الذين رجعوا من البداية؟ ﴿تَوَلَّوْا إِلاَّ قَلِيلاً

﴿مِنْهُمْ﴾ والناس الآلاف الذين رجعوا من عند النهر بعدما شربوا ورجعوا، وإذا أمكن واحد من الجنود أن يقتُل جالوت الملك نفسه! وقالوا بأنه رماه بحجر فقتله؛ فانهزم جنوده: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾ أليست هذه تُعتبَر خزياً للمتراجعين؟! أليس هذا يُعتبَر خزياً بالنسبة للعدو نفسه؟ يُعتبَر مثلاً أعلى في أهمية أن يكون الناس متوجهين في سبيل الله؛ لأن هذا هو مثل لهذه من البداية، وكيف كلامهم، أليس هو كله مرتبطاً بالله؟ لا يوجد فيه أيُّ عبارة حول موضوع الوطن نهائياً.

عندما تراجع الكثير منهم بعد النهر، وأناس منهم قالوا: ﴿لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ كيف كان خطاب الآخرين؟ أليس خطاباً إيمانياً يُذكّرهم بالله، وبسُنة إلهية معروفة في تاريخ البشر: ﴿كَم مِن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(البقرة:٢٤٩)؟ لا يوجد كلام آخر.

تلاحظ هنا مواقف الدعاء ومواطن الدعاء متى تكون؟! في ميدان المواجهة، في الميدان العملي، أن تدعو الله، كيف كان دعاؤهم هنا؟ أليس دعاءً لأنفسهم هم؟ أي: هذه القصة تكشف لك مشاعر هؤلاء وثقافتهم، ومفاهيمهم الدِّينية، نفس هذه القصة، هم دعوا الله بالنسبة لأنفسهم: أن يفرغ عليهم صبراً، وأن يثبت أقدامهم، وأن ينصرهم على القوم الكافرين، هل قالوا: اللهم دمرهم، يقول طالوت: (إذاً ما دام أنه لم يبقَ إلاّ نحن، ونحن عدد قليل فسندعو عليهم من على شاطئ النهر: اللهم دمِّرهم، اللهم أهلكهم)؟! هم برزوا ومع المواجهة دعوا لأنفسهم؛ لأنهم يعرفون في سُنة الله سبحانه وتعالى أنه إذا كان المقاتلون في سبيله مستبصرين وثابتين، فإن موضوع العدو محسوم، أنه يُهزم. وذكّر بهذه في أكثر من آية في القرآن.

من العجيب أنه قام لبني إسرائيل بعد هذه العملية - لاحِظ كيف قليل من قليل من قليل ممن كانوا ثابتين، وفي سبيل الله، وقيادة من سبيل الله، لا بُد أن تكون قيادة سبيل الله مساوية لهذا العنوان الكبير، أي: قيادة اصطفاها الله، قيادة مصطفاة من جهة الله، بعد هذه - ينتهي جالوت ودولته، انتهت دولة بكلها، وتقوم لبني إسرائيل أهم مملكة في تاريخهم بسبب هؤلاء العدد القليل.

ألم يقل الله عن داود: ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾(البقرة:٢٥١)؟ ومُلْك بشكل واسع، وسليمان مُلْك لا ينبغي لأحد من بعده كيف كانت بداية هذا المُلْك من أين؟ ألم يحصل لهم تمكين في الأرض، وحصل ضربة قاضية للعدو، وحصل مُلْك لا ينبغي لأحد من بعد، أي: مملكة واسعة، ومملكة عظيمة لبني إسرائيل؟ على يد مَن؟ على يد هذه الفئة القليلة الصادقة الصابرة التي انطلقت في سبيل الله. هذه القضية هامة: أن يكون أرقى ما وصل إليه بنو إسرائيل تحقق على أيدي هؤلاء.

﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾(البقرة:٢٥١) سُنة إلهية: التدافع، عندما يكون على المسلمين أن يقاتلوا أعداء الله؛ لأن هذا العمل يُعتبَر في إطار البشر بشكل عام يدخل ضمن سُنة التدافع؛ لأن معناه ضرب للمفسدين، أحياناً داخل المفسدين هم لا يَسمح لطرف من الأطراف أن يصل إلى درجة عالية مِن طغيانه وفساده، بل يهيئ طرفاً آخر ليضربه حتى ولو كان منهم؛ لأن ﴿اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ وهو رب العالمين جميعاً، بمعنى: ألاّ يتمادى الفساد بشكل رهيب، وهذا لا يحقق بالنسبة لجانب من يمثلون جنود الله فعندما يقعدون، لو حصل هذا التضارب بين هذا وهذا لا يحصل فرج إلاّ إذا كانوا هم في سبيل الله ومتجهين للعمل في سبيل الله تتحول الأشياء كلها بالشكل الذي يكون فيه سند لهم وفتح مجالات أمامهم.

هذه القصة هامة جداً فيما يتعلق بالمقصد: يجب أن يكون - في وضعيتنا هذه - في مواجهة بني إسرائيل، نقول: نحن نعمل مثلكم الآن تماماً، رجعنا إلى كتابنا ونبينا محمد (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) نقاتل في سبيل الله و﴿ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾(البقرة:٢٤٦) أليست نفس العملية؟ لا يمكن أن يقولوا: لا، أبداً. أن توجهونا إلى أشياء أخرى، نحن فاهمون (اعمل لك عناوين أخرى، شكّل لك حزباً، تنظيماً سياسياً، اعمل لك عناوين وطنية، اعمل لك جبهة تحرير كذا، أو جبهة الدفاع عن كذا) لا، يجب أن نفهم، هذا درس من داخل بني إسرائيل أنفسهم الذين الناس الآن في مواجهة معهم.

ثم انظر ماذا يمكن أن يعمل الذين يتشدقون بوطنية؟ أليسوا هم تراجعوا! أولئك الوطنيون هم هناك؟ الذين قالوا: ﴿وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾(البقرة:٢٤٦) تراجعوا فلم يقاتلوا لا في سبيل ديارهم ولا في سبيل أبنائهم عندما لم ينطلقوا في سبيل الله، وقالوا في سبيل الله ولم ينطلقوا بصدق، تراجعوا، لكن الخلاصة منهم حققوا نتيجة هامة لم تتحقق لبني إسرائيل في تاريخهم! ولا لأحد إلى الآن لم

يتحقق في تاريخ البشر مثل دولة سليمان، أو مُلْك سليمان، الذي كان مفتاحه هذا العدد القليل الذين انطلقوا بصدق في سبيل الله.

هذا القائد (طالوت) يُعتبَر قائداً عظيماً جداً، قائداً شجاعاً بشكل غير طبيعي - فعلاً - أنه بعدما ينفصل أول جزء من بني إسرائيل، ثم ثاني أغلبية كبيرة عندما شربوا من النهر، وينطلق ليواجه هذا الملك بجنوده، بعتاده، بكل طاقاته، وبعدد قليل، أليست هذه تُعتبَر شجاعة عالية؟ وأناس لديهم شجاعة عالية، ولديهم صبر، ولديهم ثقة بالله؛ الشجاعة تُعتبَر قوة لكنها ستكون محدودة إذا لم تكن مرتبطة بالله. ودرس لكل المتراجعين، لكل الناس الذين يبدون حكماء ويرون أنفسهم أذكياء! أمَّا أولئك فهم يريدون أن يُورِّطوا أنفسهم، هؤلاء الذين شربوا من النهر أليسوا يعتبرون أولئك أنهم مغفلون؟ عندما يريدون أن يذهبوا لمواجهتهم وهم ليسوا إلاّ قدر ثلاثمائة فيعتبرونهم مغفلين ليس لديهم حكمة! فتأتي النتيجة بالشكل الذي يخزيهم هم.

هذه تحكي وكأنها سُنة إلهية لمن يتراجعون وهم يسخرون من الآخرين ويرون أنهم مغفلون؛ لأنهم يريدون أن يواجهوا دولة كبيرة وأشياء من هذه، تأتي انتصارات بشكل يخزيهم هم، يرون أنفسهم صغاراً، يرون كل آرائهم تلك التي يعتبرونها حكيمة أنها سخيفة، هذا من أول عذاب للقاعدين حينما يرى نفسه صغيراً جداً، يرى آراءه التي كان يعتبرها حكيمة، واتزان، ورؤية صحيحة أنها كلها كانت آراء لا تمثل شيئاً، وأنها كانت خطأ.

مِن شجاعتهم هنا: أنهم برزوا لم يقولوا: (إذا لم يبقَ إلاّ نحن إذاً نتخذ مواقع تحصينية كجبهة) لا، برزوا في الميدان، ألم يبرزوا؟ ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾(البقرة:٢٥٠) أي: هؤلاء أناس عجيبون فعلاً؛ ولهذا قدَّموا مثلاً أعلى في هذا الموضوع لبيان سُنة إلهية، ولبيان قيمة أن ينطلق الناس لله وفي سبيله، وأن يفهموا أنه عندما ينطلقون للجهاد من أجل الله، وفي سبيله يجب أن يكون هو الذي يختار قيادة، الله هو الذي يصطفي قيادة.

إذاً هذه القصة تُبيِّن لنا أهمية ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾(البقرة:١٩٠) أي: لا يستجيب الإنسان لأيِّ عناوين أخرى نهائياً، اترك الآخرين يتفاعلوا كيفما يتفاعلون، وترى عروضاً عسكرية، ومن أجل الوطن، ويُقبِّل بعضهم الوطن، أليس بعضهم يُقبِّل الوطن؟! هذه لا فائدة منها، كيف يمكن أن يقف الله معك ويعينك وأنت تؤْثر التربة عليه؟! لا يصح هذا. أمَّا هذا: القتال في سبيل الله، والجهاد في سبيل الله هو في الأخير ﴿هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾(البقرة:٢١٦) الخير، أليس من الخير صيانة الأوطان، والأعراض، والأموال، والممتلكات؟ أليست من الخير الذي يريده الناس؟ ألم تتحقق هنا لبني إسرائيل وتحقق لهم مُلْك عظيم؟

فمن أهمية هذه أن الله في القرآن الكريم يزيح كل ما يمكن أن تراه عقبات كبيرة أمامك، فلا تكترث عندما تجد عدواً كبيراً، وتجد كثيراً من الناس يتراجعون، هذه لا تحسب لها حساباً نهائياً، أليست هذه الصورة كانت بهذا الشكل هنا؟ تراجع الكثير وعدو كبير أمامهم وهم قليل، لكن كيف كانت النتيجة؟ نتيجة هامة لم تحقق ربما لو برز معهم الآلاف الذين تراجعوا من على النهر لأدوا إلى هزيمة منكرة. هذه القضية هامة في وعي الناس، وفي وعيهم أن يكونوا أولي بأس شديد، يجب أن تفهم بأن هؤلاء أناس يعرفون بأن الله هو يعمل أكثر مما يمكن أن يعملوه، ألم يقل هنا: ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(البقرة:٢٤٩) وفي نفس الوقت لم يكن عندهم اكتراث بمن تراجعوا ولا اكتراث بالعدو، وهو الملك بكله بكامل جيشه.

العادة إذا كان الملك هو الذي يخرج يكون الجيش أكثر، ويكون العتاد أكثر من لو كان مجرد قائد آخر، وأن المعركة رئيسية ومعركة فاصلة بمعنى: أنه كان مُعِداً لنفسه لمجتمع بني إسرائيل وللآلاف منهم، لأن كبارهم هؤلاء قد ذهبوا هم وليس فقط أفراد منهم، وهذه هي من الأشياء التي تجعل الكثير من الناس يتراجعون، يرى الناسَ يتخاذلون ويرى العدو كبيراً وأخيراً يقول: (ونحن ماذا نعمل؟ ماذا يمكن أن نعمل؟ ماذا نستطيع أن نعمل؟) أليس هذا مثلاً يُبيِّن لك أن هذه الفكرة خطأ: لو أنك تكترث بمن تراجعوا، وتكترث بحجم العدو؟ اعرف بأنك تتحرك مع الله سبحانه وتعالى وهو مع الصابرين، فاصبر، واعتمد عليه، وانطلق في سبيله، وستكون النتيجة بهذا الشكل العجيب، أي: قضية من أغرب ما حصل في التاريخ: قضية طالوت وجنوده.

هنا يحكي عن طالوت والقليل عندما قال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ هي عبارة تفيد التقليل ﴿مَعَهُ﴾ أليست عبارة توحي بأنهم قليل، أنهم ﴿بَرَزُوا﴾ أليس البعض يقول: "فكَّة"[1] متى ما جاؤوا؟! هو في الأخير في بيته سيترك بندقيته وسوف يواجههم عندما يصلون إلى الباب! هذه ليست صحيحة. أولياء الله يكونون بهذا الشكل: موطّن نفسه أن يبرز هو، أمَّا إذا هم سيصلون عند باب بيتك فلا تصدق أنك سوف تتوفق - وأنت

(١) فَكَّة: من اللهجة العامية، وتعني التسويف.

متخاذل من البداية - أن يكون لك موقف، فأنت عارف أنك لو قَتلت أحداً فسوف يقتلونك، وسوف يدوسون البيت، فأحسن لك أن تسلِّم البندقية، وأحسن لك أن تتسلّم، في الأخير سيحدث هكذا، لا تتوفق، عندما يقول البعض: لا، وأنه سيجلس في البيت! افهمْ بأن المؤمنين هكذا يجب أن يكون لديهم روحية أن يبرزوا هم: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾(البقرة:٢٥٠).

﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾(البقرة:٢٥٢) هذه حقائق حقيقية، حق لا شك فيها. ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ والمرسلون أليس لديهم مهام من هذه النوعية؟ المرسَل يكون مرسلاً ليقيم دين الله مثلما قال لرسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) كواحد من المرسلين، ألم يقل في آية أخرى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾(النساء:٨٤) حرِّض المؤمنين وذكّر المؤمنين بمثل هذه. ورسول الله أليس رسولاً للناس جميعاً إلى آخر أيام الدنيا؟ وفعلاً في حركة رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أمثلة من هذه، ما حصل في يوم (بدر) شبيه بهذه تماماً، عندما برز المؤمنون وهم قليل، وما زال فيهم نوع ربما أشد من ذلك، أي: أمَّا هؤلاء نوعية متميزة بشكل عام: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾(آل عمران:١٢٣).

لكن موضوع القيادة تبدو قضية هامة، قضية رئيسية في موضوع القتال في سبيل الله، أنها قضية هامة، ففي يوم (بدر) حقق انتصاراً كبيراً، وكُسِرت شوكة الكفر، وقريش خرجوا كما قال الله عنهم: ﴿بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ﴾(الأنفال:٤٧) أي: غير مكترثين بتلك القلة، وغير مكترثين برسول الله ومن معه، ولديهم قوة، ولديهم شجاعة حصل مثلما حصل: ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ﴾(البقرة:٢٥١).

عندما يقول: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾(البقرة:٢٥٢) أي: أن على الناس أن يثقوا، أن نثق جميعاً في هذه؛ لأن الله هو لا يزال حياً قيوماً، أليس الله سبحانه وتعالى لا يزال حياً قيوماً هو الذي دعاه بنو إسرائيل (الله أعلم) قبل كم آلاف من السنين حدثت هذه القصة؟ هو لا يزال حياً قيوماً، هل يمكن أن نقول: إنه قد ضعف ملكه، أو قل جنوده، أو يتخلى عن أوليائه؟! لا يمكن هذا.

الله يوفقنا جميعاً لِمَا فيه رضاه، ويجعلنا من المستنيرين بكتابه، ومن المستبصرين بهداه.

إلى هنا، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله.

***

## تكملة للموضوع السابق[١]

أحياناً قد يحصل عند الإنسان تساؤل عندما نقول: نهتم بالعمل، نتحرك بالعمل، نجدُّ في العمل، وننفق، وأشياء من هذه، قد نقول: (بأن العمل الذي أمامنا هو: شعار نرفعه، ماذا يوجد غيره)؟ يوجد أعمال هي هامة، هو: أن يعمل الناس على تبصير أنفسهم، هذه قضية هامة: تبصير أنفسهم في موضوع الشيطان - كما ذكر الأستاذ زيد[٢] - أنه يحاول أن يأتي الإنسان بأيِّ طريقة، أحياناً يأتي لأيِّ واحد منا بطريقة أن الموضوع قد أصبح معروفاً، والقضية معروفة لم تعد تحتاج إلى تركيز، لكن لا، القضية ليست بهذا الشكل، إنها فرصة عندما يكون الناس لا يزالون يتمكنون من أن يجتمعوا، ويستمعوا للتوجيهات، كل شيء من التوجيهات يحتاج إليه الناس في مسيرتهم العملية، وقد تحتاج إلى توجيه مُعيَّن تسمعه من كتاب الله في المكان الذي ليس هناك من يُوجِّهك فيه، وأنت في موقع آخر.

لاحِظوا فيما حكاه الله في قصة طالوت ومن معه من المؤمنين الذين هم الصفوة، أليسوا هم الصفوة من بني إسرائيل؟ وفي نفس الوقت ظهر عند بعضهم ما يبدو مؤشر نقطة ضعف، عندما قالوا: ﴿لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾(البقرة:٢٤٩) ألم تبرز في الموقع الخطير؟ برز هذا التساؤل الذي يُعتبَر مؤشراً إلى أن هؤلاء لديهم قابلية لو قيل لهم: إذاً فلنرجع.

على الإنسان أن يفهم أن الشيء الذي ينبغي أن يكون عليه: أن يحرص على أن يتفهم أكثر، ويتوجه أكثر، ولا يعتقد بأنه في مسيرته العملية قد لا يحتاج إلى هذا التوجيه أو هذا، أو هذا، ربما كل شيء يحتاج إليه الإنسان، يحتاج إلى كل شيء يسمعه، ولأهمية هذه القضية تجد القرآن الكريم كيف ذكَّرنا، فترى الأشياء فيه بشكل كثير، وتوجيهات من الهداية تتناول كل المجالات، توجيهات في كل المجالات.

(١) هذه تكملة للدرس السابق في نفس الليلة.

(٢) الأستاذ زيد علي مصلح: مدير مدرسة الإمام الهادي بمران، ولد عام ١٣٨٤ هـ الموافق ١٩٦٤م، واستشهد في الحرب الأولى بتاريخ: ١٨ جمادى الأولى ١٤٢٥هـ الموافق ٥/٧/٢٠٠٤م.

فلا يُصْغِ الإنسان لفكرة: أن الموضوع قد أصبح معروفاً، وأنا شخصياً قد أصبحتُ مستعداً، هذه إيجابية أن تكون مستَعداً، لكن عليك أن تفهم: أن استعدادك من أولياته – والأشياء المهمة بأن تكون مستعداً فعلاً – هو أن تصغي باهتمام لكل ما تسمع من هدى الله.

ألسنا كلنا نهتدي بهدى الله سبحانه وتعالى من خلال القرآن الكريم؟ وإلاّ فقد تأتي مواقف تبرز؛ لأن الإنسان أحياناً قد لا يدري بما في أعماق نفسه، قد تبرز قضية مُعيَّنة يبرز أمامها تساؤل يمثل نقطة ضعف، تبرز حالة مُعيَّنة، يكون مؤشراً لأن يتخذ الناس موقفاً فيه ضعف، وليس لدينا صورة عن المستقبل، أن نقول: أن المستقبل هو هكذا بالتفصيل، وأمام هذه السَّنة سيكون كذا، وأمام هذه السَّنة سيكون كذا، لكن الذي يعطينا الله من خلال القرآن الكريم هو بالشكل الذي يعطيك هدى، فلتكن القائمة طويلة أو عريضة، ولتكن تفاصيلها بالشكل الذي تتوقع، أو بالشكل الذي لا تتوقع، تفاصيل المسيرة العملية في صراع الناس مع الأعداء.

عندما يكون الإنسان حريصاً على أن يتوجه فسينفع آخرين في مقامات هامة جداً؛ ولهذا نقول: إن العمل في سبيل الله هو مسيرة لها توجيهها، لها أساليبها، لاحِظ من كانوا في داخل الأقلية من جنود طالوت، ألم يوجِّهوا الآخرين؟: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُلاَقُو اللّهِ﴾(البقرة:٢٤٩) هنا كيف يظهر لك الحاجة الماسة إلى ما لدى هؤلاء من وعي، وبصيرة، وإيمان قوي، انطلقوا يوجهون الآخرين توجيهاً حكيماً نسَف تلك التي هي مؤشرات موقف ضعف: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُلاَقُو اللّهِ كَم مِن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾.

إذا كان هناك وعي فافترض هذا الشيء: أنك أنت شخصياً تحتاج، كل واحد منا يحتاج إلى التوجيهات في المسيرة العملية طول حياته؛ لأنه سيحتاجه في كل المواقف، تحتاج لنفسك، وتحسب حساباً للآخرين، هذه قضية هامة: تحسب حساباً للآخرين.

تستطيع أمام كل مؤشر ضعف، كل كلمة غير صحيحة، كل رؤية تكون غير صحيحة، يكون لديك ما ينسفها، وما يثبِّت من انطلقت منه، ألم تنفع بشكل كبير عندما: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُلاَقُو اللّهِ كَم مِن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾؟

من الأشياء الهامة التي برزت في هذه القصة: هو كيف أنهم كانوا مجموعة أصحاب نفوس قوية، أي: المشروع لديهم مشروع انتصار، لم يتغير الموقف لديهم عندما رأوا أنفسهم قليلاً بأنه فكرة دفاع، أو فكرة مدافعة، أو هكذا: مقاومة حتى عسى الواحد أن يتشجع من الآخرين، هم برزوا وعندهم ماذا؟ طموح وأمل أن ينتصروا على أولئك على الرغم من كثرتهم، هذه تُعتبَر حالة هامة جداً تحتاج من الإنسان إلى أن يرتقي إليها، ولا ترتقي إليها إلاّ من خلال هدي الله سبحانه وتعالى، من خلال هدى الله، وأن تكون متقبِّلاً للتوجيهات ولو كنتَ تفترض بأنك لا تحتاجها إلاّ بعد عشرين سنة.

في أيام رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) الأولى في مكة، ما هي المهمة التي كانت عند الناس المؤمنين؟ أن يتفهموا، ويتوجهوا، ويصغوا، ويعملوا بما ينزل إليهم، ويحاول أيُّ واحد منهم إذا استطاع أن يجعل أحداً من أقاربه أو من أناس آخرين أن يدخلوا في الإسلام. هل كانوا في مرحلة مواجهة؟ لا، لم يكونوا قد دخلوا في مواجهة، لكن التوجيهات السابقة التي كانت في مكة احتاجوها بعد، قد ربما يكون بالنسبة لبعضهم بعد – مثلاً –أربع عشرة سنة، فكان لها أثرها في نفوسهم بعد أربع عشرة سنة.

الناس عندما يكونون متوجهين من البداية فإنهم يوفرون على أنفسهم حالة اضطراب، ورؤى متعددة، وتساؤلات، وأشياء كثيرة في المواقف المتعددة، تكون القضية عندهم قريبة، أي: هل قُدِّم من خلال هذه الآيات أنه حصل أخذ ورد فيما بين تلك المجموعة من أصحاب طالوت؟ هل حصل أخذ ورد كثير؟ كلمة برزت، كلمة طفّتها، وانتهى الموضوع، وكأنهم ذكّروهم بشيء ربما استعادوا به ما سمعوه وما وعوه سابقاً.

إذا بقي الإنسان هكذا فقد يكون الناس أمام أيِّ موقف يحصل تساؤلات، ويحصل اضطراب، هذه تُعتبَر نقطة ضعف أمام العدو، وكما نقول دائماً: نحن أمام أعداء خطيرين، أي: دقيقين في مراقباتهم، متى ما لمسوا أيَّ مظاهر ضعف، أيَّ مظاهر توحي بخلخلة، أيَّ مظاهر توحي بتعدد رؤى، واضطرابات، أيَّ شيء يدل على أن هؤلاء ليس لديهم بصيرة، وليس لديهم وعي كامل بالمواقف التي سيدخلون فيها، يتشجع العدو.

نحن نقول: القرآن الكريم قدَّم لنا طريقة تستطيع أن تجعل الناس بالشكل الذي يراهم العدو كباراً فعلاً، وهذا العدو نفسه يؤثر فيه سلباً عندما يرى الآخرين يبدون أقوياء، يبدون صامدين، يبدون ملتزمين، ليس هناك خلخلة، ولا هناك ضجَّة، ولا هناك شيء.

لاحِظ في موضوع الشعار أثر تأثيراً كبيراً، وعندما أضيف إليه السجن ترك آثاراً كبيرة جداً، وفي الأخير ظهر له أثر لم نكن نتوقعه، لم نكن نتصوره، من أين حصل هذا؟ هل برز أثناءه خلخلة في المجتمع، إمَّا من عند الآباء، أو داخل هؤلاء الشباب، أو أخذ ورد فيما بين الناس؟

نقول دائماً: هؤلاء الأعداء، لا تتوقع بأنهم لا يكون لهم مثلاً عيون، يحاولون أن يستقرئوا وضعية الناس، فإذا لمسوا بأنه سُجن مجموعة كبيرة، هم سيلاحظون كيف هي أقوال الناس، وكيف أثرت في الناس، ليسوا فقط سيلحظون المسجونين، بل والآخرين؛ ولهذا نحن نقول: لا يكن عندنا إلحاح في موضوع الزيارة، إذا أمكن أن تزور، وقالوا: هناك وقت، فلا بأس أن تزور، ما لم فليست مشكلة[١].

بل مناسب أن يقولوا لهم: (لو تسجنوهم إلى آخر أيام الدنيا، هم في عمل في نفس الوقت؛ لأن سجنهم يفضحكم) سِجن هؤلاء المسجونين الذين سُجنوا من أجل شعار يُرفع وفي فترة قصيرة جداً في الأسبوع دقيقة واحدة أو أقل هذا يفضح الأمريكيين، فظهر في الصورة أن الأمريكيين هم وراء هذه بقضية معروفة، إذاً هم في نفس الوقت في عمل.

من الأثر الكبير لعملهم، مَن هم في السجن، ومَن هم لا يزالون يرفعون الشعار، ومَن هم لا يزالون صامدين، أي: بشكل عام مَن في السجن، ومَن خارج، ليس هناك ضجَّة، وليس هناك أخذ ورد، وليس هناك أشوار كثيرة، مثل: (أمانة خلاص، أو يكفي، أو قد صار هناك سُجناء، أو...) هذه نفسها توحي بأن هذه أمة صامدة قوية.

هذا نفسه مِن رحمة الله بنا: أن تبرز قضية توحي للعدو كيف هم الناس الذين يسيرون على كتاب الله؛ ليذوقوا هم كتاب الله الذي يريدون أن يحاربوه؛ ولهذا نقول إنه يجب أن نكون في عملنا كله، أن نكون مدينين لله، مدينين لكتابه، القرآن هو الذي حرَّكنا، الله هو الذي هدانا، على هديه كنا بهذا الشكل، على هداه سنكون أقوياء بهذا الشكل؛ لأنهم متجهون لمحاربة القرآن، فليعرفوا أن القرآن ليس بالشكل الذي يمكن أن يحاربوه ويطمسوه من النفوس، القرآن هو يبني النفوس بتوفيق الله على هذا النحو.

أن تظهر مثلاً فئة صادقة، يُسجنون ولا يبالون، يُكبِّرون، ويسافرون إلى هناك ليُكبِّروا[٢] قد أصبح الجامع الكبير أشبه شيء بميدان فيما بين الناس وفيما بين الأمريكيين، مواجهة، هذه المواجهة لها آثار فيما يتعلق بالجوانب النفسية، والجوانب التي يسمونها الجوانب السياسية، والمعنوية، حتى لو لم تكن مواجهة مسلحة.

هؤلاء يُكبِّرون، وكل جمعة وهم أكثر، ولم تتوقف كل جمعة على الرغم من أنهم يُسجنون، وكل أسبوع يَسجنون عدداً منهم، بلغ في بعض الجُمَعات إلى أن سجنوا ثمانية عشر شخصاً، وبعد كل جمعة يظنون أنها ستتوقف، يمكن أنهم قد انتهوا، أو ربما قد توقفوا، وتضعضعوا، ويئسوا! ورأوهم مُكبِّرين، وسجنوهم، ورأوهم مُكبِّرين جمعة ثانية، وهكذا، وهكذا. هذا في الأخير يعني أن هذه أمّة صامدة، وأن الناس هكذا يكونون إذا ساروا على هدى الله.

في نفس الوقت عندما يكون عملهم مثلما نقول دائماً: يجب أن يكون في سبيل الله، وأنه بسبب أننا على هدى الله؛ لأن هذا هو البديل الوحيد أمام الناس، يعطي ثقة للآخرين بأن الناس متى ما ساروا على هدى الله فسيكونون أقوياء، وسيخاف منهم العدو، وسينتصرون على العدو إذا ساروا على هدى الله.

فالشعار نفسه عمل كبير في حد ذاته، أن نعمل على توسيع دائرته، أن نعمل على نشر (ملازم) نعمل نحن (ونتحرك في الساحة) هكذا يحاول الواحد على ضوء ما يسمع، وعلى ضوء ما ينزل، أي: العمل معناه: أن نعمل بالحاصل، هذه هي القضية الصحيحة، يكون لديك استعداد عملي أن تعمل وتشتغل بما حصل، في المسيرة العملية (نعمل بهدى الله) ولا ندري نحن كيف الخارطة أمامنا لكن عندنا ثقة بالله سبحانه وتعالى أن نسير على هداه، وكيفما كانت النتيجة بالنسبة لنا شخصياً كيفما كانت.

لكن لدينا ثقة، عندما نرى أمامنا وكأنهم يسجنونهم كل أسبوع، كل أسبوع، سنواصل كل أسبوع؛ لأن القضية لها قيمة، وليس فقط من منطلق - التي يسمونها - "كِبْرَه"[٣] لا، باعتبار القضية لا يزال لها قيمة كبيرة، لها أثر هام على العدو، ولها أثر هام بالنسبة للناس، ولها أثر هام في الساحة بشكل عام.

من فوائد هذه العملية: شعار ينطلق الناس فيه، ثم سِجْن على أيدي الأمريكيين بطريقة مكشوفة: أنه أقفل

(١) هو يقصد سجناء الأمن السياسي الذين اعتُقلوا بسبب ترديدهم الشعار في الجامع الكبير بصنعاء.

(٢) يَقصِد بالتكبير: ترديد شعار[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام] في الجامع الكبير بصنعاء.

(٣) الكِبَرْة: من اللهجة العامية: التَّكَبرُّ.

مجال الدعاية للأمريكيين في اليمن فعلاً، أقفل مجال الدعاية التي هي الوسيلة لأن تسوِّغ عند الناس قابلية الأمريكيين أن يحتلوا، هنا افتضح الأمريكيون فيما يتعلق بـ(ديمقراطية، وحرية، وحقوق إنسان) من خلال هذا العمل؛ إذاً فهذا عمل هام فعلاً، لا أحد يقول: (إننا نُكبِّر، ما هي الفائدة من هذا التكبير، فقط ليسجنوهم؟!) أن يسجنوهم هو عمل في نفس الوقت، ونحن نعرف عندما يكون الناس صابرين فعلاً، وصامدين، ومتجهين بإخلاص، فإن الله يضع نهايات للأشياء، الله يقول: ﴿وَاصْبِرْ حَتَّىَ يَحْكُمَ اللّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾(يونس:١٠٩) أليس يقول هكذا؟ أن لله حُكماً ستنتهي به كل قضية، والحُكم عادة يكون لصالح أوليائه في الأخير.

عندما يقول البعض بأن معناه سجن دائماً دائماً، فقل: نحن سنتحرك ﴿حَتَّىَ يَحْكُمَ اللّهُ﴾ أليس الله قال لنبيه هكذا؟ أليس بإمكان الله سبحانه وتعالى أن يُبيِّن لنبيه كيف سيكون الحكم في الأخير؟ لكن لا؛ ليبقى لديه ثقة بالله أنه سيحكم لا محالة، وأن الحكم سيكون لصالح أوليائه الصابرين، هذه القضية ليس فيها شك.

فتبدو المسألة فيما يتعلق برسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) أن تُبهَم المسألة أمامه حتى يحكم الله؛ لأنها قضية هامة بالنسبة له وبالنسبة للناس من بعده، وإن بدت قضية فيها نوع من العناء أو تحتاج إلى صبر فليصبر الناس، يصبروا والله يقول دائماً لمن يصبرون في سبيله: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾(البقرة:١٥٥) ﴿إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(البقرة:١٥٣).

ولاحِظ كيف كان هؤلاء الصابرون في مواجهة جالوت وجنوده، ألم يحققوا انتصاراً كبيراً جداً؟ انتصاراً بشكل مذهل، وهم في نفس الوقت قدِّم لهم بشكل كلام: ﴿كَم مِن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ﴾ أمَّا نحن فقد قدِّم لنا مثلاً حياً هو ماذا؟ قدِّم لنا طالوت ومن معه، وجالوت وجنوده.

أليست هنا قضية واقعية حصلت في التاريخ؟ وحصل لها نظائر في أيام رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وحصل لها نظائر أيضاً من بعد رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) في جهاد المسلمين في أيام الإمام يحيى بن زيد، وقبله، ومن بعده، قد حصل نظائر لهذا، أي: نحن أمام أمثلة واقعية، أن الله مع الصابرين، أي: يصبرون وهم في مجال مواصلة عملهم.

إذاً فهذا من ألطاف الله سبحانه وتعالى بنا، فلنتفهم حتى نعرف قيمة ما نعمل، هذه قضية هامة، تتفهم أثرها، وأن تعرف أنها مؤثرة بالنسبة للعدو، وفق رؤية العدو ومقاييسه هناك، وإن كانت قد تبدو غير مؤثرة بالنسبة لمقاييسنا نحن العرب في الصراع. معلوم أن العدو نفسه من الأمريكيين والإسرائيليين يركّزون جداً على موضوع أن يهيئوا قابلية لهم في الشعب الذي يريدون أن يحتلوه، ودعاية عن طريق عملاء لهم، سواءً بشكل أحزاب، أو بشكل غير أحزاب، يروِّجون لهم، وكل الترويج ينصبُّ على ثلاثة أشياء: حرية، وديمقراطية، ورعاية حقوق إنسان.

تلاحِظ أن الناس استطاعوا بهذا الشعار أن يفضحوهم. إذاً ألم يحصل هنا انتصار بأعداد قليلة؟ فعلاً حصل انتصار للناس أنهم وقوا الأمة هذه على أقل تقدير، وما يمكن أن يستفيدوا من هذا من خارج، وقوا اليمن على الأقل، ووقينا أنفسنا نحن مَن ننطلق في هذا الموضوع مِن أن يتقبَّل أحد منا أيَّ دعاية ترويجية للأمريكيين هي في الأخير تخلق قابلية للاحتلال، أليست هذه تُعتبَر إيجابية كبيرة جداً؟

إذاً فكما قلنا سابقاً: هذا الشيء من العمل نعرف قيمته، عمل مطروح في الساحة، عمل أن تنشر (ملازم) وشعارات، وزعْها، وتحرَّك من عندك أنت، بقدراتك الخاصة، توزعها بين الناس، وتشجع الناس على قراءتها، وتشجع الناس على أن يرفعوا الشعار في هذا المسجد أو هذا المسجد بالطريقة الطبيعية، هذا عمل، وعمل مهم هو هذا: أن يكون الإنسان حريصاً على أن يتوجَّه، يتفهم، يُصغي، ويعرف بأنه سيحتاج إلى كل شيء سمعه، ويكون له إيجابيته في الوقت المناسب بالنسبة له.

القضية نحتاج إليها فعلاً، أي: نحن الآن في مرحلة يجب علينا أن نُقدِّم أنفسنا كشهداء كما قال الله في القرآن: ﴿لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ﴾(البقرة:١٤٣) مرحلة أن يُقدِّم الناس أنفسهم نموذجاً، أي: نبيِّن كيف يكون أثر كتاب الله، وأثر هدى الله في الناس، والعرب بأمس الحاجة إلى هذا النموذج، بل العالم بكله بأمس الحاجة إلى هذا النموذج؛ لأن كل شيء من الأشياء الأخرى لم يعد له قيمة، كل الأطروحات، كل طريقة لم يعد لها جاذبية ولا أثر في نفوس الناس ينشدّون إليها، بقي هذه الطريقة، لكن هذه الطريقة تحتاج إلى أمة تُقدِّم نفسها كنموذج؛ ولهذا نقول: إنه يجب أن يكون توجهنا في سبيل الله، وأن نسند كل ما نحن فيه وكل ما نحصل عليه إلى الله، وإلى كتابه؛ لأننا نسير على هداه، وهذا أثر هداه فيمن يسيرون على هداه، هذه في حد ذاتها عمل هام.

عندما يستمر الناس في عملهم، لا ندري ماذا بالنسبة للمستقبل، إذا لم يكن هناك وعي بالشكل المطلوب عند الكثير منا ستظهر أشياء تُقدَّم باسم الدِّين، إذا لم يكن لديك وعي، لم يكن لديك بصيرة، لم يكن لديك تفهُّم من قبْل؛ تكون معرَّضاً لأن تتضعضع فعلاً، تكون مُعرَّضاً لأن تتراجع، لو لم يكن باسم أنك متراجع عن القضية من أساسها، ولو في موقف.

أحياناً قد يأتي مثلاً أثر لدعاية مُعيَّنة، تؤثر في الناس، في اتخاذ موقف مُعيَّن، في وضعية مُعيَّنة، في وقت مُعيَّن، وإن لم تكن أدت بك أنت إلى أن تتراجع بشكل عام عن المسيرة كلها، إذاً فالمرحلة التي نحن فيها لم تعد مرحلة أن الناس يتحركون بدون وعي، وبدون فهم، وألاَّ يحاولوا أن يرسِّخوا في أنفسهم؛ لأن النتيجة ستكون أخطاء تصدر، تراجُعات من البعض، ومن يتراجع فالشيطان يجعله في الأخير يتحرك ليُخرِّب، متى ما تراجع شخص في الأخير هو يحاول أن يبرر تراجعه.

كانت القضية لدى طالوت وجنوده، بني إسرائيل بشكل عام - وهذه من الأشياء العجيبة أن مما يدل على أنها كانت قضية أساسية، وهامة جداً - موضوع ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قضية مترسِّخة لديهم على الرغم من سوء حالهم، وعلى الرغم من مخالفاتهم الكبيرة، بقيت قضية متجذرة في ذهنيتهم، في ثقافتهم: أنه يجب أن تكون الانطلاقة ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ويجب أن تكون القيادة مختارة من الله، وأن تكون القيادة منسجمة مع سبيله.

ليست القضية فقط مجرد عنوان، نحن في زمن يمكن أن تسمع عناوين أخرى. ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ يجب أن تفهم بأن القضية ليست فقط مجرد عنوان، القضية هي: أن تكون متوجهاً إلى الله، والسبيل هو: الطريق التي رسمها لتتحرك فيها وأنت تقاتل في سبيل الله، وأنت تجاهد في سبيل الله، أليست كلمة ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ممكن أن يرفعها أناس آخرون؟ وقد رفعها آخرون قبلنا وورَّطوا كثيراً من الناس، وخدعوا الكثير من الشباب باسم ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وإذا بهم يجرُّونهم في سبيل أمريكا.

فعندما تكون فاهماً أنت من البداية أن مسألة سبيل الله ليس معناه فقط مجرد النية أنك تقاتل تقرباً إلى الله، أن هناك طريقة مرسومة تبدأ من القيادة والمنهج الذي يسير عليه الناس، قضية ليست سهلة، إذا كنت فاهماً هذه الطريقة تستطيع أن تميز من يقول لك: ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ من خلال الطريقة التي يسير عليها، تمام أنت لديك عنوان: ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وذاك لديه عنوان: ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لكن ستبقى الطرق والمنهجيات التي يسيرون عليها تُبيِّن من هو الذي ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ حقاً.

هذه وحدها عندما نفهمها تكفينا بألاّ نُخدَع بآخرين، نحن أمام أعداء يستطيعون أن يجعلوا آخرين يتحركون بالعناوين نفسها التي تتحرك بها أنت، بالعناوين نفسها، ويبدون أكثر إمكانية، ويبدون وكأنهم أكثر فاعلية (أمَّا هم فإنهم يُفجِّرون، ولا أدري ماذا يعملون أيضاً) وأشياء من هذه، فيتصور الواحد إذاً فما دام أن أولئك في سبيل الله، وما زال لديهم إمكانيات، وهم هؤلاء فاعلون مِن صدق؛ إذاً فمعهم، ثم تكتشف في الأخير وإذا هي مجرد خدعة، حركة وهمية.

فنريد: عندما نسمع القرآن الكريم، وعندما نتفهم توجيهاته، ستستبين لنا سبيل الله، حينها نصبح أناساً لا يستطيع أحد أن يخدعنا بأيِّ شعارات حتى بعناويننا نفسها؛ لأن العدو ممكن أن يخادع الآخرين بنفس العناوين التي يرفعها الناس: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾(البقرة:٨) أليست نفس العناوين التي يرفعها المسلمون الأوائل: إيمان بالله، وحركة من أجل الإيمان بالله، وناس يقولون إنهم مؤمنون بالله! رفعها آخرون ﴿وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ وهم من الذين يقولون: ﴿آمَنَّا بِاللّهِ وَبِالْيَوْمِ الآخِرِ﴾.

إذاً فنفهم أنه إذا كان قد خُدِع في الماضي شباب كثير من اليمن، من السعودية، ومن بلدان عربية أخرى تحت عنوان ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فلأنهم فقدوا معرفة الطريق التي تمثل سبيل الله، الذي أمامهم مجرد عنوان، إذاً فأيُّ واحد منا يحتاج إلى أن يفهم هذه من الآن، وهذه قضية هامة في هذه النقطة وحدها، ناهيك عن أشياء أخرى.

المهم أن خلاصة الموضوع بأن على الإنسان أن يتفهم دائماً كل ما يسمع، إذا كان هو موطّن نفسه عملياً فيعرف أنه بحاجة إلى كل ما يسمع لنفسه ولغيره، وفي المواقف الحرجة سينفعك ما تسمع، هذه قضية هامة.

في موضوع الفرج مثلاً بالأمس عندما قرأنا الآية، عندما قال الله: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ﴾(البقرة:٢١٤) قلنا: إن من الأشياء التي يجب أن نفهمها: أن تكون ثقتك بالله بأنه في الموقف الحرج سيكون النصر؛ لأن العادة بالنسبة للناس، عندما يقول: (ممكن أن نتحرك، لكن..) يتصور

أنه ربما - مثلما يقولون - تَحْمِض القضية[1] ربما يتطور الموضوع، أي: الناس - عادة - يخافون من ماذا؟ من تطور القضية، وأن يصبح موقفاً كبيراً، وصراعاً كبيراً، وخطورة كبيرة، أليست هذه الحالة التي تحصل عند الناس؟ أنت عندما تستفسر آخرين، أي: عندما يتحدث الواحد مع آخرين سيعرف من داخل أنفسهم: أن الشيء الذي يُهيِّب الكثير من الناس، ممكن أن يتحرك معك في كذا، وفي كذا، لكن أمَّا هناك فمشكلة كبيرة إذا كان الموضوع سيصل إلى مواجهة مع قوة كبرى.

لاحِظوا هنا في القرآن الكريم في أكثر من آية يذكِّر الله الناس بما يعطيهم ضمانة في النقطة التي عادة يتهيبون من أن يصلوا إليها، وهي ماذا؟ عندما تشتد القضية، عندما تكون المواقف الحرجة سيكون هناك نصر، سيكون هناك فرج؛ ولهذا قال هنا: ﴿حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلاَ إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ﴾.

قد تكون مثلاً بالنسبة للمجتمعات عندما يحصل بأساء، وضراء، وزلزلة، قد يجعل التزلزل أكبر بسبب نقص الوعي عند الناس، يحصل تزلزل أكبر، أي: يحصل لديهم اضطراب، وتردد، ونوع من القلق، فمما يُشكّل ضمانة في هذه أن تُعتبَر أنه: اترك الزلزلة، وبأساء، وضراء، تشتد بكيفها، متى ما اشتدت سيأتي فرج.

أليس الإنسان قد يتراجع من البداية على أساس أنها قد تشتد، قد تحصل خطورة كبيرة فيتراجع؟ فعندما تكون واعياً من خلال الآية، لا، لأنه لو اشتدت فهناك الفرج، ألستَ ستتحمل في الوسط؟ نفس الوعي، الوعي الذي يقوم على أساس هدى الله سبحانه وتعالى يقي الناس من الكثير من الزلزلة؛ لأن الزلزلة هنا بمعنى أنه حكى من داخل المجتمع، قد لا يحتمل أن يكون النبي نفسه، أو مؤمنون واعون على مستوى عالٍ، أن يكونوا اكترثوا بالزلزلة؛ لأنه قدَّم لنا نموذجاً آخر: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾ أليست هذه من الأشياء التي تزلزل؟ ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾(آل عمران:١٧٣) ألم يحصل هنا ثبات؟

في نفس المقام مع بني إسرائيل، في هذه الآية نفسها، عندما قال الآخرون: ﴿لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ هذا مؤشر خطير، أي: قد تراجَع أكثرنا قبل، وتراجَع أكثرنا بعد النهر، ونحن الآن في الميدان، قد صار بعضنا يقولون هكذا، أليست هذه توجد زلزلة؟ لكن لاحِظ كيف الوعي لديهم جعلهم هم يثبِّتون الآخرين، هم لم يضطربوا: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُلاَقُو اللّهِ﴾ لم يتزلزل هؤلاء مع أنها قد صارت حالة رهيبة فعلاً، وهم في ميدان المواجهة لم يتزلزلوا! لماذا؟ إيمانهم قوي، ولديهم وعي بالشكل الذي يقيهم الاضطراب، كانوا هم ثابتين، وساعدوا على تثبيت الآخرين.

إذاً فمعنى هذا بأنه قد تحصل - ولو مع نبي من أنبياء الله، إذا لم يكن هناك تفهُّم بالشكل الكامل لتوجيهاته - قد تحصل زلزلة عند نسبة، ومن يتفهمون لا يضطربون، ولا يتزحزحون، سيكون لديهم فكرة (بأنه دعها تصل إلى أن يُقتل الواحد) أليست القضية هذه؟ أليست نهاية كل شيء هنا في الدنيا؟ دعها تصل إلى أن تُقتل، معناه ماذا؟ أن تنتقل شهيداً فتحيا من جديد في أفضل حياة، فهل يمكن أن تتزلزل؟

ولهذا تكون مشاريع الناس الثابتين كبيرة، ماذا يعني كبيرة؟ هؤلاء المؤمنون برزوا وعندهم مشروع نصر في مواجهة تلك القوة الجبارة والكثيرة العدد بقيادة ملكهم (جالوت) انطلقوا بذلك الدعاء: ﴿وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾(البقرة:٢٥٠) أليسوا هم دعوا الله بهذا الشكل؟ لديهم طموح أن ينتصروا عليهم، وفعلاً انتصروا عليهم ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللّهِ﴾(البقرة:٢٥١).

هذه قضية هامة، لا بُد أن تؤمن بأن يكون مشروعك هو مشروع القرآن نفسه، ألم يكن القرآن للعالَمين جميعاً؟ تكون نظرتك نظرته، ووراء القرآن أينما وصلت، هذه قضية. أن يكون لديك إيمان في نفس الوقت بأن النصر الإلهي والفرج الإلهي يأتي في النقطة التي تجعل الآخرين لتهيبهم منها يتراجعون، هنا إذاً لم يعد هناك ما يجعلك تتراجع.

في نفس الوقت يكون الإنسان دائم الدعاء لله، هذه قضية لا ينفرد الإنسان بنفسه أبداً مهما لمس عنده من قوة إيمان، واستعداد، وثبات، لا بُد أن يكون دائم العلاقة بالله والدعاء باستمرار: ﴿رَبَّنَا لاَ تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾(آل عمران:٨) ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾(البقرة:٢٥٠) مجموعة أدعية من هذه نحاول أن نقولها يومياً، في قنوت الفجر، في قنوت الوتر، في خارج الصلاة، ندعو بها، يبقى الإنسان على علاقة دائمة بالله.

ولنعرف جميعاً بأن هذه المرحلة التي نحن فيها قد تكون مرحلة من أفضل المراحل لمن يسيرون في سبيل

---

(١) تَحْمِض القضية: تشتد.

الله، ونقولها أكثر من مرة: من أفضل المراحل لمن يتحركون على أساس كتاب الله؛ لأنه إذا كانت مظاهر الارتداد التي تحصل داخل البلاد العربية تجعل الكثير منهم يتراجعون، لاحِظ أنه في القرآن جعلها بالشكل الذي تُعتبَر مؤشر خير بالنسبة لك، أنه إذا كان هناك ارتداد فإن الله سيأتي بقوم يحبهم ويحبونه.

هل هذا بالشكل الذي يحصل لديك هزيمة وتراجع عندما ترى آخرين لا ينطلقون، لا حكومات، ولا كثير من الناس؟ هذا معناه ماذا؟ ارتداد عمَّا يجب أن يكونوا عليه، هذا الارتداد في الآية، معناه: يبقى لديك أمل كبير؛ لأن الله قال: - إذاً فرصة - ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾(المائدة:٥٤) ففرصة لي أن أعرض نفسي أمام الله عسى أن أكون من هؤلاء.

تجد هذا نموذجاً عالياً جداً، أي: أن هدى الله بالشكل الذي لا يجعل لليأس منفذاً إلى نفسك، ولا للشيطان أيَّ وسيلة للتغلغل إلى صدرك نهائياً؛ لأن كل شيء من الذي يبدو حرِجاً يجعله بالشكل الذي يعطي أملاً في نفس الوقت، دائماً هذه سُنة إلهية في القرآن، أليست قضية الارتداد ملحوظة داخل العرب؟ هي ملحوظة، حتى تجد أن الناس عندما أصبحوا يسمعون بموضوع تغيير مناهج، وأن الأمريكيين يغيرون المناهج، والقرآن الكريم يخفون الكثير من آياته، وأشياء من هذه، لم يحصل تفاعل، ولا ضجة بالشكل الذي كان يجب أن يكون حاصلاً عند المسلمين.

إذاً هذه حالة تراجع، حالة ارتداد بما تعنيه الكلمة في هذه الآية، تقهقر، أنت إذا كان لديك وعي فقل: إذاً فرصة بالنسبة لي أن أكون؛ لأنه وعد: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ﴾ إذا لم يكن لديك وعي ستقول: (أمانة يا جماعة ليس الوقت مناسباً الآن، ولاحِظوا الناس لم يعد يحركهم حتى أن يعرفوا بأن القرآن قد صار معرَّضاً للخطر: أن يُخفوا الكثير من آياته في المدارس والمساجد وغيرها) أليس هو سيتراجع؟ إذاً فمسألة توعية الناس هي دائرة واسعة، تحصل على الوعي لنفسك وللآخرين.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا جميعاً بأن نكون ممن وعد أن يأتي بهم: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ﴾.

إلى هنا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الطاهرين.

**[الله أكبر / الموت لأمريكا / الموت لإسرائيل / اللعنة على اليهود / النصر للإسلام]**

تم هذا الإخراج الجديد بعد مزيد من
المراجعة والمقابلة مع (الكاسيت) الصوتي
بتاريخ: ٢٨ جمادى الآخرة ١٤٤٢هـ
الموافق: ١٠/ ٢/ ٢٠٢١م

الله أكبر
الموت لأمريكا
الموت لإسرائيل
اللعنة على اليهود
النصر للإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

# دروس من هدي القرآن الكريم

## ألقاها السيد / حسين بدر الدين الحوثي

قاطعوا
البضائع الأمريكية
و
الإسرائيلية

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| دروس من سورة آل عمران | الدرس الأول ٢٠٠٢/١/٨م | الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/٩م | الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١١م | الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٢م |
| دروس من سورة المائدة | الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٣م | الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٤م | الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/١٥م | الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/١٦م |
| **دروس معرفة الله** | | | | |
| الثقة بالله ـ الدرس الأول ٢٠٠٢/١/١٨م | نعم الله الدرس الثاني ٢٠٠٢/١/١٩م | نعم الله الدرس الثالث ٢٠٠٢/١/٢٠م | نعم الله الدرس الرابع ٢٠٠٢/١/٢١م | نعم الله الدرس الخامس ٢٠٠٢/١/٢٢م |
| عظمة الله الدرس السادس ٢٠٠٢/١/٢٣م | عظمة الله الدرس السابع ٢٠٠٢/١/٢٥م | عظمة الله الدرس الثامن ٢٠٠٢/١/٢٦م | وعده ووعيده الدرس التاسع ٢٠٠٢/١/٢٨م | وعده ووعيده الدرس العاشر ٢٠٠٢/١/٢٩م |
| وعده ووعيده الدرس الحادي عشر ٢٠٠٢/١/٣٠م | وعده ووعيده الدرس الثاني عشر ٢٠٠٢/٢/٤م | وعده ووعيده الدرس الثالث عشر ٢٠٠٢/٢/٥م | وعده ووعيده الدرس الرابع عشر ٢٠٠٢/٢/٦م | وعده ووعيده الدرس الخامس عشر ٢٠٠٢/٢/٨م |
| **دروس متفرقة** | | | | |
| الصرخة في وجه المستكبرين ١٧/ ١/ ٢٠٠٢م | {اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلاً} ٢٠٠٢/١/٢٤م | الهوية الإيمانية ٢٠٠٢/١/٣١م | في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (١) ٢٠٠٢/٢/١م | في ظلال دعاء مكارم الأخلاق (٢) ٢٠٠٢/٢/٢م |
| خطر دخول أمريكا اليمن ٢٠٠٢/٢/٣م | لتحذن حذو بني إسرائيل ٢٠٠٢/٢/٧م | معنى الصلاة على محمد وعلى آل محمد ٢٠٠٢/٢/٨م | معنى التسبيح ٢٠٠٢/٢/٩م | {وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى} ٢٠٠٢/٢/١٠م |
| {وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ} ٢٠٠٢/٢/١١م | الإرهاب والسلام ٢٠٠٢/٣/٨م | مسؤولية طلاب العلوم الدينية ٢٠٠٢/٣/٩م | خطورة المرحلة ٢٠٠٢/٣/١٦م | دروس من وحي عاشوراء ٢٠٠٢/٣/٢٣م |
| {وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ} ٢٠٠٢/٧/٢٦م | الثقافة القرآنية ٢٠٠٢/٨/٤م | آيات من سورة الكهف الجمعة ٢٠٠٣/٨/٢٩م | {وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ} ٢٠٠٢/٩/٢م | الإسلام وثقافة الاتباع ٢٠٠٢/٩/٢م |
| لا عذر للجميع أمام الله ١٤٢٢/١٢/٢١هـ | مسؤولية أهل البيت ٢٠٠٢/١٢/٢١م | أمر الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٢هـ | يوم القدس العالمي ٢٨ رمضان ١٤٢٢هـ | دروس من غزوة أحد ذو الحجة ١٤٢٢هـ |
| آيات من سورة الواقعة ١٠ رمضان ١٤٢٣هـ | الشعار سلاح وموقف ١١ رمضان ١٤٢٣هـ | ذكرى استشهاد الإمام علي (عليه السلام) ١٩ رمضان١٤٢٣هـ | حديث الولاية ١٨ من ذي الحجة ١٤٢٣هـ | {وَأَقِمِ الصَّلاَةَ لِذِكْرِي} ١٤٢٣هـ |
| الموالاة والمعاداة ١٤٢٣هـ | {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا} | الوحدة الإيمانية | {فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِنِّي هُدًى} | {وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِن رَّبِّكُمْ} |
| من نحن ومن هم | دروس مديح القرآن من الدرس الأول إلى الدرس السابع من تاريخ ٥/٢٨ /٢٠٠٣م إلى تاريخ ٢٠٠٣/٦/٣م | | | |
| **دروس شهر رمضان المبارك ١٤٢٤ هـ** | | | | |
| سورة البقرة: الآيات (٢١ـ ٣٩) ٣ رمضان ١٤٢٤هـ | سورة البقرة: الآيات (٤٠ ـ ٦٦) ٤ رمضان ١٤٢٤هـ | سورة البقرة: الآيات (٦٧ـ١٠٣) ٥ رمضان ١٤٢٤هـ | سورة البقرة: الآيات (١٠٤ـ١١٤) ٦ رمضان ١٤٢٤هـ | سورة البقرة: الآيات(١١٥ـ١٤٥) ٧ رمضان ١٤٢٤هـ |
| سورة البقرة: الآيات (١٤٦ـ١٨٦) ٨ رمضان ١٤٢٤هـ | سورة البقرة: الآيات(١٨٥ـ٢١٤) ٩ رمضان ١٤٢٤هـ | سورة البقرة: الآيات(٢١٥ـ٢٥٢) ١٠ رمضان ١٤٢٤هـ | سورة البقرة: الآيات(٢٥٢ـ٢٧٤) ١١ رمضان ١٤٢٤هـ | الآيات(٢٧٥من البقرة ـ٣٢ من آل عمران) ١٢ رمضان ١٤٢٤هـ |
| سورة آل عمران: الآيات (٣٣ـ٩١) ١٣ رمضان ١٤٢٤هـ | سورة آل عمران: الآيات (٩٢ـ١١٦) ١٤ رمضان ١٤٢٤هـ | سورة آل عمران: الآيات (١٦١ـ آخر السورة) ١٦ رمضان ١٤٢٤هـ | سورة النساء: الآيات (١ ـ ٤٢) ١٧ رمضان ١٤٢٤هـ | سورة النساء: الآيات (٤٣ـ١١٦) ١٨ رمضان ١٤٢٤هـ |
| سورة النساء: الآيات (١٣٥ ـ آخر السورة) ٢٠ رمضان ١٤٢٤هـ | سورة المائدة: الآيات (١ ـ ٢٦) ٢١ رمضان ١٤٢٤هـ | سورة المائدة: الآيات (٢٧ ـ ٥٧) ٢٢ رمضان ١٤٢٤هـ | سورة المائدة: الآيات (٥٥ ـ آخر السورة) ٢٣ رمضان ١٤٢٤هـ | سورة الأنعام: الآيات (١ ـ ٣٩) ٢٤ رمضان ١٤٢٤هـ |
| سورة الأنعام: الآيات (٣٩ ـ ١٠٢) ٢٥ رمضان ١٤٢٤هـ | سورة الأنعام: الآيات (١٠٣ ـ آخر السورة) ٢٦ رمضان ١٤٢٤هـ | سورة الأعراف: الآيات (١ ـ ١٣٧) ٢٧ رمضان ١٤٢٤هـ | سورة الأعراف: الآيات (١٣٨ـ١٦٢) ٢٨ رمضان ١٤٢٤هـ | سورة الأعراف: الآيات (١٦٣ ـ آخر السورة) ٢٩ رمضان١٤٢٤هـ |